التقرير الاستراتيجي الفلسطيني

2022 - 2023

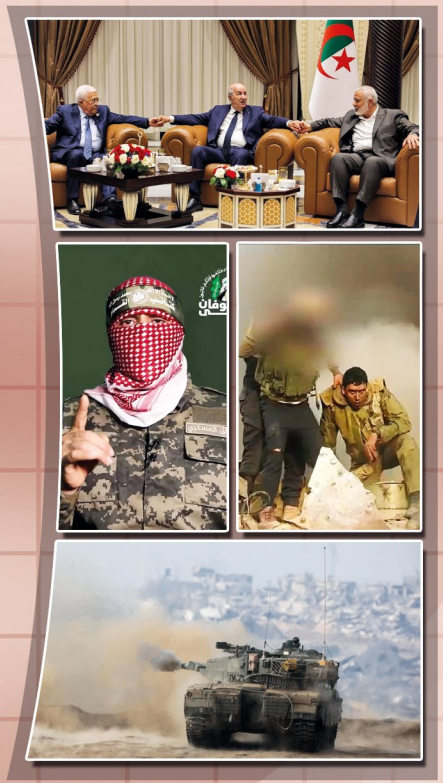

تحرير

أ. د. محسن محمد صالح

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

التقرير الاستراتيجي الفلسطيني

2023–2022

مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات
بيروت - لبنان

The Palestine Strategic Report 2022–2023

Editor:

Prof. Dr. Mohsen Mohammad Saleh

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

2024م – 1446هـ

بيروت – لبنان

ISBN 978-614-494-052-5

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تلفون: + 961 21 80 36 44

تلفاكس: + 961 21 80 36 43

ص.ب.: 14–5034 **بيروت – لبنان**

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net **الموقع:** www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

إخراج

ربيع معروف مراد

التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023

التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023

تحرير

أ. د. محسن محمد صالح

مستشارو التقرير

أ. د. سامي العريان

أ. منير شفيق

أ. د. نظام بركات

المشاركون

أ. إقبال وليد عميش

د. باسم جلال القاسم

أ. ربيع محمد الدنّان

أ. ساري عرابي

د. سعيد وليد الحاج

أ. د. طلال عتريسي

أ. فاطمة حسّان عيتاني

أ. د. محسن محمد صالح

د. مهند مصطفى

أ. هاني "محمد عدنان" المصري

أ. وائل أحمد سعد

أ. د. وليد عبد الحي

مساعدو التحرير

إقبال وليد عميش

فاطمة حسّان عيتاني

رنا مصطفى جرجور

Al-Zaytouna Centre For Studies & Consultations

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

الفصل الرابع

مسارات العدوان والمقاومة والتسوية السلمية

مسارات العدوان والمقاومة والتسوية السلمية

مقدمة

وصلت المقاومة الفلسطينية في الفترة التي يغطيها هذا التقرير إلى أعلى ذُراها منذ إنشاء الكيان الصهيوني سنة 1948. حيث مثَّلت عملية طوفان الأقصى التي نفذتها كتائب القسام التابعة لحركة حماس، أقوى وأرقى أشكال العمل المقاوم وأشدّها تأثيراً في الكيان الإسرائيلي. فقد أسقطت نظريته الأمنية، وضربت فكرة وجوده ودوره الوظيفي في الصميم، وأفقدت اليهود الصهاينة الشعور بالملاذ الآمن، وعطَّلت مشاريع التطبيع، وعزَّزت خيار المقاومة المسلحة، مع انهيار مسار التسوية السلمية. وكان للوحشية غير المسبوقة للاحتلال في هجومه على قطاع غزة، وللمقاومة البطولية الفلسطينية في مواجهته، والتفاف الحاضنة الشعبية حول المقاومة، دور كبير في إعادة تشكيل الوعي العربي والإسلامي والعالمي تجاه قضية فلسطين.

يستعرض هذا الفصل مسارات العدوان الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية، ويُبرز شراسة الاحتلال، في ضوء تولي أشد الحكومات الإسرائيلية تطرفاً في تاريخ الكيان زمام الحكم. ويُبرز تصاعد المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال سنتَي 2022–2023، ويستعرض عمليات المقاومة ومعاركها، وعلى رأسها طوفان الأقصى؛ كما يستعرض أوضاع الأسرى في سجون الاحتلال؛ بينما يُركّز جزؤه الأخير على تطور مسار التسوية السلمية خلال الفترة التي يُغطِّيها التقرير.

أولاً: عمليات المقاومة والتصعيد في الضفة الغربية

تابع الكيان الإسرائيلي في 2022 و2023 احتلاله وعدوانه على الشعب الفلسطيني؛ الذي واصل مقاومته. ففي الضفة الغربية، وبالرغم من التنسيق الأمني بين أجهزة الأمن في السلطة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي، فقد تصاعدت العمليات الفردية، كذلك استمرت المواجهات اليومية، وأشكال المقاومة الشعبية.

أما في قطاع غزة، فقد شهد العمل المقاوم الفلسطيني تطوّراً في الاستناد إلى استراتيجية الهجوم دفاعاً عن مدينة القدس والمسجد الأقصى المبارك، والتي تجلَّت في العملية التي أطلقت عليها المقاومة الفلسطينية اسم عملية "طوفان الأقصى"، بينما أطلق الاحتلال الإسرائيلي على حرب الرد عليها اسم "السيوف الحديدية Swords of Iron"، والتي نفّذتها كتائب القسام التابعة لحركة حماس في 2023/10/7، ثم انضمت إليها فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة. وكان قد سبق وأن قام الاحتلال الإسرائيلي بعدوانين كبيرين ضدّ قطاع غزة، حيث

استهدف فيهما بشكل أساسي حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري "سرايا القدس"؛ الأولى هي عمليّة "وحدة الساحات"، أو ما أُطلق على الرد عليها إسرائيلياً عملية "الفجر الصادق Breaking Dawn"، خلال الفترة الممتدة ما بين 5–2022/8/7. والثانية هي عمليّة "ثأر الأحرار"، أو ما أُطلق على الرد عليها إسرائيلياً عملية "الدرع والسهم Shield and Arrow"، خلال الفترة الممتدة ما بين 9–2023/5/13.

ونتيجة لهذه العمليات الثلاث، فقد شهد قطاع غزة ارتفاعاً كبيراً في عمليات إطلاق الصواريخ الفلسطينية في سنتي 2022 و2023 باتجاه "البلدات والمدن الإسرائيلية" في فلسطين المحتلة سنة 1948. فقد تمّ إطلاق 1,245 صاروخاً في سنة 2022، معظمها في عملية "وحدة الساحات" (1,233 صاروخاً)، مقابل إطلاق 1,671 صاروخاً أُطلقت منذ بداية 2023 وحتى نهاية آب/ أغسطس 2023، معظمها في عملية "ثأر الأحرار" (1,582 صاروخاً)،[1] ما عدا ما تمّ إطلاقه خلال عملية "طوفان الأقصى"، حيث تمّ إطلاق أكثر من 12 ألف صاروخ من القطاع المحاصر،[2] وذلك حسب معطيات جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك)، ووزارة الخارجية الإسرائيلية.

كذلك استمرت "إسرائيل" في سنتي 2022 و2023 بإغلاقها لمعابر قطاع غزة وتشديدها للحصار، وإقفالها بشكل كامل في حربها على قطاع غزة إثر عملية "طوفان الأقصى"، بالإضافة إلى قطع الكهرباء والماء بشكل كلي عن القطاع خلال العدوان، وقطع الإنترنت خلال أيام كثيرة من العدوان؛ لتُشدِّد بذلك سياسة الحصار البري والبحري على قطاع غزة، ولتُكرس واقعاً غير مسبوق من الخنق الاقتصادي والاجتماعي لسكان القطاع، ولتتسبّب في تهجير نحو مليونَيْ مواطن من أبناء غزة من أماكن سكنهم، ومنعهم من العودة، من خلال ارتكاب المذابح وتدمير المنازل والممتلكات العامة، وأساليب التجويع، بما في ذلك منع الحصول على الاحتياجات الأساسية.

حافظت عمليات المقاومة على معدلاتها المرتفعة خلال سنتي 2022 و2023، فقد سجل جهاز الشاباك الإسرائيلي 3,825 عملية مقاومة في سنة 2022، في الضفة الغربية بما فيها شرقي القدس، وقطاع غزة، وداخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948، مقابل 4,578 عملية سُجلت في سنة 2023، ما عدا عمليات المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة خلال عملية "طوفان الأقصى".

فقد سجل الشاباك 2,152 عملية مقاومة في الضفة الغربية (ما عدا القدس) في سنة 2022، مقابل 2,657 عملية في سنة 2023، وسجل 392 عملية في شرقي القدس في سنة 2022، مقابل 305 عمليات سُجلت حتى نهاية آب/ أغسطس 2023، وسجل 30 عملية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948 في سنة 2022، مقابل 18 عملية سُجلت حتى نهاية آب/ أغسطس 2023. وتجدر الإشارة إلى أن معظم العمليات المسجّلة في الضفة كانت مواجهات، ورشق

حجارة وزجاجات حارقة، وغيرها... مما يؤشر على تصاعد روح المقاومة في بيئة أمنية صعبة ومعقدة تجري فيها مطاردة المقاومة بشكل منهجي منظم منذ سنوات طويلة، وبتنسيق كامل بين السلطة الفلسطينية والاحتلال. وفي قطاع غزة سجّل الشاباك 1,251 عملية في سنة 2022، مقابل 1,598 عملية سُجلت حتى نهاية آب/ أغسطس 2023. وكانت معظم أعمال المقاومة المسجّلة في قطاع غزة؛ إطلاق قذائف صاروخية (معظمها في عملتي "وحدة الساحات" و"ثأر الأحرار")، حيث بلغت 2,916 صاروخاً.[3]

جدول 4/1: توزيع أعمال المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال سنتي 2022–2023، حسب تقرير الشاباك[4]

السنة	الضفة الغربية (ما عدا القدس)	شرقي القدس	فلسطين المحتلة سنة 1948	قطاع غزة	المجموع
2022	2,152	392	30	1,251	3,825
2023 (حتى آب/ أغسطس)	2,657	*305	*18	**1,598	***4,578
المجموع	4,809	**697	*48	**2,849	***8,403

* تقارير الشاباك أضافت عمليات شرقي القدس والأراضي المحتلة سنة 1948 إلى إحصاءات الضفة الغربية بعد آب/ أغسطس 2023.

** لم تصدر أي إحصائية من جهاز الشاباك لعمليات قطاع غزة بعد آب/ أغسطس 2023.

*** دون احتساب أرقام العمليات في "طوفان الأقصى".

من جهة أخرى، فإن التقارير السنوية الذي يصدرها مركز معلومات فلسطين "مُعطى"، تذكر أن أشكال المقاومة الفلسطينية الشعبية والمسلحة في الضفة الغربية، بما فيها شرقي القدس، تصاعدت بشكل ملحوظ ونوعي؛ حيث نفّذ الفلسطينيون، خلال سنة 2022، في أنحاء الضفة، بما فيها شرقي القدس، 12,188 عملاً مقاوماً، بينها 1,380 عملية مؤثرة (مسلحة). وجاء في التقرير أنّ عدد العمليات المؤثرة تضاعف أكثر من أربع مرات مقارنة مع سنة 2021.

وبحسب التقرير، شهدت محافظات جنين ونابلس والخليل أعلى وتيرة في عمليات المقاومة المؤثرة لا سيّما عمليات إطلاق النار، حيث بلغت على التوالي 445، و382، و131. وتوزعت أعمال المقاومة في مختلف مناطق الضفة والقدس خلال سنة 2022، وكانت أعلاها في نابلس 2,420، والخليل 1,943، والقدس 1,854، ورام الله 1,724، وجنين 1,308. وأفاد التقرير أن 31 إسرائيلياً قُتلوا نتيجة لذلك، معظمهم من الجنود، فيما جرح 525 آخرين.[5]

وخلال سنة 2023، سجلت المقاومة تطورات جديدة في عملياتها النوعية، ونفَّذ الفلسطينيون، خلال سنة 2023، في أنحاء الضفة، بما فيها شرقي القدس، 14,183 عملاً مقاوماً، بينها

3,258 عملية مؤثرة (مسلحة)، وبذلك يكون عدد العمليات المؤثرة قد تضاعف أكثر من مرتين مقارنة مع سنة 2022.

وبحسب التقرير، شهدت محافظات جنين ونابلس وطولكرم أعلى وتيرة في عمليات المقاومة المؤثرة لا سيّما عمليات إطلاق النار، حيث بلغت على التوالي 1,066، و704، و338. وتوزعت أعمال المقاومة في مختلف مناطق الضفة والقدس خلال سنة 2023، وكانت أعلاها في نابلس 2,700، وجنين 2,162، والخليل 1,899، ورام الله 1,815، والقدس 1,675. وأفاد التقرير أن 43 إسرائيلياً قُتلوا نتيجة لذلك، فيما جرح 507 آخرين.[6]

جدول 4/2: تطور العمل المقاوم في الضفة الغربية 2020–2023[7]

السنة	2020	2021	2022	2023
أعمال المقاومة الشعبية*	5,433	10,189	10,808	10,925
عمليات مؤثرة**	97	404	1,380	3,258
المجموع	5,530	10,593	12,188	14,183

* وتشمل المواجهات، وإلقاء الحجارة والزجاجات الحارقة، والإضرابات، والتظاهرات...

** وتشمل عمليات إطلاق النار، والطعن، والدهس...

جدول 4/3: تطور عمليات المقاومة المؤثرة حسب نوعها 2020–2023[8]

السنة	2020	2021	2022	2023
عمليات إطلاق النار	29	171	848	2,053
عمليات الطعن أو محاولات الطعن	27	36	37	46
عمليات الدهس أو محاولات الدهس	11	18	18	25
عمليات زرع عبوات ناسفة أو إلقائها	30	53	222	653
حرق منشآت وآليات وأماكن عسكرية	–	106	65	109
تحطيم مركبات ومعدات عسكرية	–	17	187	336
إسقاط طائرة درون Drone	–	3	2	26
عملية تفجير مزدوجة	–	–	1	–
إطلاق صواريخ	–	–	–	10
المجموع	97	404	1,380	3,258

وفي المقابل، تسبّب التنسيق الأمني في الضفة الغربية في كشف العديد من خلايا المقاومة، وإحباط الكثير من عمليات المقاومة، فقد ادعى رئيس هيئة الأركان في الجيش الإسرائيلي أفيف كوخافي Aviv Kochavi أن قواته أحبطت أكثر من 400 هجوم في الضفة الغربية خلال سنة 2022.[9]

يأتي ذلك على الرغم من استمرار الاحتلال في جرائمه وعدوانه على الشعب الفلسطيني، وعلى الرغم من إعلان المجلس المركزي الفلسطيني في 2022/2/9، عن "وقف التنسيق الأمني بأشكاله المختلفة"،[10] وإعلان السلطة الفلسطينية تعليقه، عقب العملية العسكرية في جنين ومخيمها خلال كانون الثاني/ يناير وتموز/ يوليو 2023،[11] وتأكيد قيادة السلطة على استمرار وقف التنسيق الأمني بسبب العدوان على غزة بعد عملية "طوفان الأقصى".[12]

وقد أجمعت تقديرات المحللين ومراكز أبحاث الأمن القومي على أن التنسيق الأمني "مصلحة" مشتركة للسلطة الفلسطينية ولـ"إسرائيل"، فالسلطة تعي أن غياب التنسيق يعني حلّها، وإسقاط حكمها في الضفة الغربية، بينما تهدف "إسرائيل"، من خلاله، إلى إحباط "العمليات المسلحة"، وتقويض المقاومة الفلسطينية. ولِكونه "مصلحة" مشتركة، فإن التنسيق الأمني لم ينقطع، ولم يتوقف بشكل كلي، وحتى عند الأزمات والتوترات بين الطرفين، وتَحوّل لورقة ضغط، وآلية ابتزاز.[13]

ووفقاً للتقديرات الإسرائيلية، فقد برز دور التنسيق الأمني وأهميته، خلال عملية "كاسر الأمواج"، التي بدأت في 2022/3/31، حيث نفّذت قوات الجيش حملات اقتحامات وتفتيشات واعتقالات واسعة في الضفة، وبشكل يومي؛ "بناء على معلومات استخباراتية من الجيش والشاباك، وبالتنسيق مع أجهزة الأمن الفلسطينية، وذلك لتجنب الاحتكاك والصدام مع القوات العسكرية"، بحسب الجانب الإسرائيلي.[14] ونتيجة لذلك، اعتقلت الأجهزة الأمنية الفلسطينية الأعضاء الفاعلين المقاومين، ومنهم القائد في كتائب القسام مصعب اشتية، والمطارد والمطلوب لدى قوات الاحتلال، في 2022/9/19.[15]

وقد أكّد وزير الدفاع الإسرائيلي بني جانتس أنه يُقيم اتصالات مستمرّةٍ مع الرئيس عباس في القضايا الأمنية من وقتٍ لآخر، مشدداً على أنه يجب تعزيز التنسيق الأمني مع السلطة الفلسطينية، بهدف إضعاف حماس، ولأنه "يخدم أمن الفلسطينيين والإسرائيليين، ويتيح الرفاه الاقتصادي والمدني".[16] ووصف العقيد احتياط موشيه إلعاد Moshe Elad، في مقال له نشره موقع القناة 13 الإسرائيلية، وقف التنسيق الأمني بـ"التهديد الفارغ وعديم الجدوى"، موضحاً أن التهديدات والمناقشات التي تدور في أروقة حركة فتح

برئاسة محمود عباس، ما هي إلا محاولة من السلطة لتحسين صورة عباس لدى الجمهور الفلسطيني.[17]

وفي السياق نفسه، التقى اثنان من كبار المسؤولين في المنظومة الأمنية الإسرائيلية بشكل سري، في 2022/9/8، مع أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير حسين الشيخ، ورئيس المخابرات الفلسطينية ماجد فرج، بهدف إعادة الأجهزة الأمنية إلى نشاطها لمنع تصعيد محتمل خلال الأعياد اليهودية.[18] وتوصَّلت السلطة الفلسطينية، في 2023/2/19، إلى تفاهمات مع الحكومة الإسرائيلية، بوساطة أمريكية، تهدف إلى "خفض التوترات ومنع تصعيد أمني واسع في الضفة".[19]

وتعهّد مسؤولون فلسطينيون وإسرائيليون، في ختام قمةٍ، هي الأولى من نوعها منذ سنوات، عُقدت في مدينة العقبة الأردنية، في 2023/2/26، بـ"خفض التصعيد على الأرض ومنع المزيد من العنف". وشارك في القمة رئيس جهاز الاستخبارات الفلسطيني ماجد فرج، ورئيس جهاز الشاباك الإسرائيلي رونين بار، ومستشار الأمن القومي الإسرائيلي تساحي هنغبي، ومنسق البيت الأبيض للشؤون الأمنية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا بريت ماكغورك Brett McGurk، وبحضور مسؤولين أمنيين من الأردن ومصر.[20]

وخلال "طوفان الأقصى"، هناك من دعا، من الجانب الإسرائيلي، إلى إعادة هيكلة المنظومة الأمنية للسلطة الفلسطينية، في سياق المقترح الأمريكي لإعادة بناء السلطة الفلسطينية، تمهيداً لما يُدعى احتمال تولي الحكم مستقبلاً في قطاع غزة، فيما يسمونه اليوم التالي للحرب، وذلك بحسب تقدير موقف صادر عن معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي The Institute for National Security Studies (INSS) في تل أبيب. وقال منسق البرامج الإسرائيلي الفلسطيني بالمعهد ريم كوهين Reem Cohen: "حينما يكون الهدف هو القضاء على وجود حماس في قطاع غزة، يتعين على إسرائيل أن تعمل من أجل إنشاء سلطة فلسطينية فاعلة مدنياً وأمنياً، تكون قادرة على التعامل مع غزة على غرار نموذج الضفة، وهو مصلحة إسرائيلية قبل أن تكون فلسطينية".[21]

وفي السياق نفسه، أكّد وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن، خلال مؤتمرٍ صحفي في 2023/11/5، أن السلطة الفلسطينية تلعب دوراً مهماً جداً في الضفة الغربية لتحاول الحفاظ على الاستقرار هناك، مشدداً على أنها "تحرز فعلاً تقدماً في ظلّ ظروف صعبة جداً للقيام بالعمل اللازم".[22]

ثانياً: أبرز المجموعات المقاومة في الضفة الغربية

شهدت الضفة الغربية نمطاً جديداً من أنماط المقاومة المسلحة، خلال سنتي 2022 و2023، هي المجموعات المسلحة التي ظهرت في بعض المناطق، وتباينت في مسار تشكّلها وتطورها، واستطاعت إيجاد نمط يختلف عن البنية التنظيمية للأحزاب الفلسطينية التقليدية، وشكّلت قيادة ميدانية، واندمجت عناصر من الفصائل الفلسطينية المختلفة في هذه المجموعات، دون إلغاء ارتباطها بتنظيماتها الأصلية. وبدأت تلك المجموعات بالتشكل في شمال الضفة أواخر سنة 2021، وانتقلت بشكلٍ أقل إلى جنوبها ووسطها، ومن أبرزها كتيبة جنين في مخيم جنين، وعرين الأسود وكتيبة بلاطة في نابلس، وكتيبة طولكرم في مخيمي طولكرم ونور شمس، ومجموعة عقبة جبر في أريحا...[23]

1. كتيبة جنين:

تُعدّ كتيبة جنين أولى هذه التشكيلات، وظهر اسمها لأول مرة في 2021/9/7، في مخيم جنين، في أعقاب أحداث نفق الحرية، بعد هروب ستة أسرى فلسطينيين من سجن جلبوع، بهدف حمايتهم، والدفاع عنهم. أما الوجود الفعلي للكتيبة فقد تشكل في أعقاب استشهاد جميل العموري، ابن مخيم جنين، في 2021/6/10، الذي يُعدّ المؤسس الأول لهذه الكتيبة. والتواجد الأقوى في كتيبة جنين هو لسرايا القدس، الجناح العسكرية لحركة الجهاد الإسلامي؛ ولم يقتصر نشاطها على مخيم جنين، وتوسع ليشمل بعض مناطق ريف جنين، والمستعمرات، وداخل الخط الأخضر.[24] واتبعت الكتيبة، منذ إعلان بيانها الأول، أسلوب الاشتباك المباشر مع قوات الاحتلال، والتصدي لتوغل الاحتلال، وإسقاط المسيرات العسكرية الإسرائيلية...[25]

ومنذ الإعلان عن الكتيبة قامت "إسرائيل" باستهدافٍ ممنهج لقياداتها، وشرعت في تنفيذ سلسلة من الإجراءات، من أبرزها الاقتحامات الموجهة، وعمليات الاغتيال والاعتقال. وأبرز هذه العمليات معركة "بأس جنين"، في تموز/ يوليو 2023، حيث قام الاحتلال بالهجوم على مخيم جنين باستخدام لواء كامل. ومع ذلك، فقد فشل الاحتلال في تحقيق أهدافه، ولم يتمكن من القضاء على هذه الظاهرة، وزادت عمليات المقاومة،[26] وأكدت كتيبة جنين أن "مسيرة المقاومة لن تتوقف، وستكون دماء الشهداء وقوداً لاستمرار المواجهة والنضال حتى التحرير والعودة".[27]

وعدد عناصر الكتيبة الدقيق غير معروف، ولكن قائد سرايا القدس أكرم العجوري أكّد، في لقاء مع برنامج "ما خفي أعظم"، عُرض في 2023/1/6، أن كتيبة جنين في طور البناء والتصاعد، وفي صفوفها العشرات من الأفراد المجهزين بالكامل بالسلاح والخبرة، وقال إن الكتلة الصلبة للكتيبة تتكون من نحو مئة مقاتل. وقال القائد الميداني في الكتيبة أبو الحسن إن

الكتيبة مكونة من ثلاث وحدات: وحدة الرصد والمتابعة، ووحدة المتفجرات، ووحدة المواجهة والاشتباك.[28] فيما يُقدر الجيش الإسرائيلي عدد أفرادها بنحو 300 عنصر.[29] ومن الأسماء البارزة في كتيبة جنين، بالإضافة إلى العموري، الشهداء: نعيم الزبيدي، ومحمد السعدي، وفاروق سلامة، وأحمد العامر، وسميح أبو الوفا، ومجدي عرعراوي، وأوس حنون، وعلي الغول، ورعد خازم...[30]

وفي سياق متصل، اتهمت كتيبة جنين الأجهزة الأمنية الفلسطينية بالاعتداء على عناصرها، وملاحقتهم، واعتقالهم، وإطلاق النار عليهم، داعية من وصفتهم بـ"الشرفاء من حركة فتح وكتائب الأقصى والأجهزة الأمنية" للوقوف عند مسؤوليتهم الدينية والأخلاقية والوطنية، والضغط على أجهزة السلطة من أجل إنهاء ما وصفتها بـ"مهزلة الاعتقال والملاحقة".[31] وفي ردّها على ذلك، أكّدت السلطة الفلسطينية، بحسب بيانات وزارة الداخلية، ومحافظ جنين اللواء أكرم الرجوب، على أنها لن تتهاون، أو تقصر، أو تجامل، في تطبيق القانون والأمن العام في المحافظات الفلسطينية، وأنها ستقطع أي يد تعبث بالأمن.[32] ومن أبرز كوادر الكتيبة المعتقلون في سجون السلطة: مراد ملايشة، ومحمد براهمة، وعيد حمامرة، ومحمد علاونة، ومحمد ملايشة، ومؤمن فشافشة، وعماد خليلية، وخالد عرعراوي، وجميل جعار، وسلامة عبد الجواد...[33]

2. كتيبة نابلس (عرين الأسود):

تشكّلت كتيبة نابلس أواخر سنة 2021، وانبثقت منها مجموعة عرين الأسود التي ظهرت رسمياً بعد مرور أقل من شهر على استشهاد إبراهيم النابلسي، في 2022/9/2، بعد إطلاق النار على سيارة يقودها مستوطن قرب قرية حوارة، وأعلنت المجموعة تبنيها العملية، وبرز اسمها بعد عدة عمليات هجومية مباغتة ضدّ القوات الإسرائيلية، بحسب ما ذكر أبو مجاهد (أبو فلسطين)، الذي يقود عرين الأسود، في برنامج "ما خفي أعظم"، عُرض في 2023/1/6، حيث تحدث عن تأسيس المجموعة والعمليات النوعية التي قامت بها.[34] واندمجت عناصر من الفصائل الفلسطينية في هذه المجموعة، دون إلغاء ارتباطها بتنظيماتها الأصلية.

وشنّ الاحتلال جملة من الاغتيالات والاعتقالات المنهجة ضدّ قيادات العرين؛ وأبرز هذه العمليات كانت عملية "كاسر الأمواج" في نابلس، التي بدأت في 2022/3/31، حيث استعان بأعداد كبيرة من قوات جيشه المتواجدة في الضفة. إذ استشهد العشرات من عناصر عرين الأسود، أبرزهم محمد الدخيل، وأشرف مبسلط، وأدهم مبروكة، وإبراهيم النابلسي، وإسلام صبوح، وحسين طه، وعبد الرحمن صبح، ومحمد العزيزي...[35]

وفي ظلّ فشل "إسرائيل" في تطويق تصاعد مجموعات المقاومة المسلحة في الضفة، وتمددها، فقد عوَّلت على تنسيقها الأمني مع السلطة الفلسطينية سعياً لاحتواء المشهد. وشهدت نابلس صدامات عنيفة بين أجهزة الأمن الفلسطيني ومحتجين غاضبين على اعتقال السلطة أحد النشطاء البازين في عرين الأسود، وهو مصعب اشتية القيادي في كتائب القسام. وأكد عضو المجلس الثوري لحركة فتح فخري البرغوثي أن السلطة غير معنية بظهور أي قوة للمقاومة في الضفة، لذلك تسعى للتفاوض مع مقاومي عرين الأسود وكتيبة جنين.[36] وسلّم بعض عناصر العرين نفسه للسلطة، في محاولة لإنهاء ملف ملاحقته من قبل "إسرائيل".[37]

وعقب "طوفان الأقصى"، قالت عرين الأسود إنّها معركة الكلّ الفلسطيني، وهي معركة التحرير الكبرى، مشيرةً إلى وجوب انتقال المقاومين من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم في الضفة.[38] وأكدت المجموعة، في رسالة لمحمد الضيف وصالح العاروري وكل قادة المقاومة أنّ "الضفة الغربية لن تكون إلا سيفاً ودرعاً لكم بإذن الله".[39]

3. كتيبة طولكرم:

تأسست في آذار/ مارس 2022، على أيدي مجموعة من شباب طولكرم، يتقدمهم سيف أبو لبدة ومحمد جابر أبو شجاع، تمركزت في طولكرم ومخيم نور شمس المجاور لها، وتضمّ عناصر من الفصائل الفلسطينية. نفذت العديد من العمليات العسكرية النوعية ضدّ الاحتلال. وفي وقت لاحق انضم إليها فصيل أسسه أمير أبو خديجة في شباط/ فبراير 2023، ويطلق عليه "مجموعة الردّ السريع".[40]

وتعرضت طولكرم ومخيم نور شمس لعشرات عمليات الاقتحام، والتي زادت بشكل كبير عقب "طوفان الأقصى"؛ وذلك بعدما حققت كتيبة طولكرم تطوراً في التكتيك، والأساليب القتالية، وتدريب الأفراد، وتصنيع العبوات الناسفة، بحيث أصبحت أكثر قدرة على الانفجار وإحداث الأضرار المباشرة، مما مكنها من تنفيذ عمليات نوعية ضدّ الاحتلال عند نقاط التماس والحواجز العسكرية، بالإضافة إلى التصدي للاقتحامات العسكرية والقتال أحياناً خارج حدود المخيم.[41]

وفي السياق نفسه، تعرضت عناصر كتيبة طولكرم للملاحقة من الأجهزة الأمنية الفلسطينية، وقُتل بعضهم برصاصها إثر عمليات الملاحقة،[42] وشهدت طولكرم سلسلة فعاليات احتجاجية ومسيرات رافضة لذلك. ودعت الكتيبة الأجهزة الأمنية الفلسطينية "لتصحيح المسار والكف عن ملاحقة أبناء الأذرع العسكرية".[43] ووجّهت الكتيبة رسائل للأجهزة الأمنية الفلسطينية، أكدت فيها موقفها بعدم رغبتها في مواجهتها.[44]

ثالثاً: قطاع غزة ما قبل الطوفان

شهدت سنتا 2022 و2023 العديد من جولات القتال والتصعيد ما بين قصير استمر لأيام، وطويل استمر لأشهر، في قطاع غزة، شهد خلالها القطاع تصاعداً كبيراً في عملية إطلاق القذائف الصاروخية والهاون. وسنركز هنا الحديث على عمليات وحدة الساحات، وثأر الأحرار، وطوفان الأقصى.

1. عمليّة "وحدة الساحات" (5-2022/8/7):

بعد أيام من التوتر والاستنفار، أعقبت اعتقال قوات الاحتلال القيادي البارز في حركة الجهاد الإسلامي في جنين بسام السعدي 2022/8/1، حيث أعلنت الحركة في قطاع غزة حالة "استنفار"، ورفعت "جاهزية" مقاتليها بعد اعتقاله؛[45] شنّت "إسرائيل" حملة عسكرية ضدّ الحركة، في 2022/8/5، أطلقت عليها اسم عملية "الفجر الصادق"، وأطلقت عليها المقاومة الفلسطينية عملية "وحدة الساحات"، استهلها جيش الاحتلال باغتيال عضو المجلس العسكري لسرايا القدس، قائد الجبهة الشمالية فيها تيسير الجعبري، وقائد وحدة الصواريخ عبد الله قدوم، واستهداف مواقع عدة للحركة في قطاع غزة.[46]

وفور العدوان الإسرائيلي، أعلنت حركة الجهاد أنه "لا وساطات الآن، ولا حديث عن أي تهدئة"، وأعلنت أن العدو يتحمل المسؤولية الكاملة عن الجريمة، وأنها لن تتهاون في الردّ على العدوان الذي يمثل إعلان حرب. وأعطى الأمين العام للحركة زياد النخالة أمراً ميدانياً لجميع عناصر سرايا القدس، بالتصرف والبدء بالردّ على جريمة الاحتلال الصهيوني في غزة. وأكّد النخالة أنه لا خطوط حمراء في المعركة، وستكون تل أبيب تحت قائمة صواريخ المقاومة. وقال المتحدث باسم الحركة إنه "جرت اتصالات مع المسؤولين المصريين قبل ساعة من القصف وكانت الردود إيجابية"، مشدداً على أن جريمة اغتيال الجعبري جاءت لعرقلة الجهود والمساعي المصرية لإنهاء حالة التوتر.[47]

وبالمقابل، حمّلت الغرفة المشتركة للفصائل الفلسطينية العدو الصهيوني المسؤولية كاملةً عن العدوان على قطاع غزة، مؤكدة أنه بفعله هذا يخطئ التقدير. وأكدت الغرفة المشتركة، في بيان لها، أن هذا العدوان لن يمر مرور الكرام، وأن ردّ المقاومة قادمٌ، وبالطريقة التي تحددها قيادة المقاومة. وأعلنت الغرفة أنها في "حالة انعقادٍ الآن، وتقدّر الموقف بالاشتراك مع الأجنحة العسكرية كافة، ولن تسمح للعدو بالتغول على أبناء شعبنا، ولن يفلح بكسر صمود شعبنا ومقاومته".[48]

وفي 2022/8/1، أعلنت حركة الجهاد الإسلامي موافقتها على اتفاق هدنة مع "إسرائيل" عبر وساطة السلطات المصرية، وقالت إنها نجحت في فرض شروطها على الاحتلال خلال مفاوضات

غير مباشرة. ومن طهران، قال الأمين العام للحركة زياد النخالة إن الحاضنة الشعبية والغرفة المشتركة للمقاومة شكلتا دعماً، "لكن الجهاد قامت بالجزء الأكبر من القتال".[49] وأبلغ رئيس الوزراء الإسرائيلي يائير لابيد، من جهته، رؤساء البلديات الإسرائيلية في منطقة غلاف قطاع غزة، أن أهداف العملية العسكرية على غزة تحققت، "لذا لا فائدة من استمرارها". وكان رئيس جهاز الشاباك رونين بار قد أوصى الحكومة الإسرائيلية بالسعي لإنهاء العملية العسكرية في غزة قبل حدوث ما وصفها "بأخطاء يمكن أن تورطها في عملية أوسع لا تريدها".[50]

شنّ الجيش الإسرائيلي، خلال العدوان، 147 غارة جوية ضدّ أهداف في قطاع غزة.[51] وبالمقابل، وحسب تقديرات جهاز الشاباك الإسرائيلي، أطلقت سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد، 1,233 صاروخاً، باتجاه تل أبيب والقدس وغلاف غزة و"مدن الوسط الإسرائيلية"، في إطار ردّها على ذلك.[52]

ونتيجة للعدوان، أعلنت وزارة الصحة الفلسطينية في قطاع غزة، استشهاد 46 فلسطينياً، بينهم 16 طفلاً، و4 نساء، بالإضافة إلى إصابة 360 بجراح مختلفة، من بينهم 151 طفلاً و58 امرأة.[53] وأعلنت سرايا القدس، في بيان لها، أن من بين الشهداء 12 من عناصرها، من بينهم اثنين من أبرز قادتها، وهما "القائد الكبير تيسير الجعبري، مسؤول المنطقة الشمالية، والقائد الكبير خالد منصور مسؤول المنطقة الجنوبية".[54] بينما تمّ الإعلان عن إصابة 70 إسرائيلياً، نتيجة إطلاق الصواريخ من غزة.[55]

وأظهرت إحصائية أصدرتها وزارة الأشغال والإسكان في قطاع غزة أن الاحتلال دمّر خلال عدوانه 18 وحدة سكنية دماراً كلياً، و71 بشكل جزئي غير صالح للسكن، و1,675 بشكل جزئي صالح للسكن.[56]

2. عمليّة "ثأر الأحرار" (9–2023/5/13):

نفّذ الجيش الإسرائيلي، في 2023/5/9، في ساعة مبكرة، عبر 40 طائرة مقاتلة غارات على قطاع غزة أدّت إلى استشهاد 13 فلسطينياً، بينهم 3 قيادات بارزة من سرايا القدس، استشهدوا مع زوجاتهم وعدد من أبنائهم؛ والقادة هم أمين سر المجلس العسكري لسرايا القدس جهاد الغنام، وقائد المنطقة الشمالية خليل البهتيني، وطارق محمد عز الدين أحد قادة العمل العسكري في الضفة الغربية.[57]

واستمر العدوان حتى مساء 2023/5/13، وقال جيش الاحتلال إنه هاجم خلاله 422 هدفاً لحركة الجهاد الإسلامي، التي تولت العبء الأكبر في مواجهة العدوان، بينما وفّرت لها حماس وفصائل المقاومة الدعم اللوجيستي، وعملياً الحماية. وحسب تقديرات جهاز الشاباك الإسرائيلي، أطلقت المقاومة (وتحديداً الجهاد الإسلامي) 1,582 صاروخاً، باتجاه تل أبيب

والقدس وغلاف غزة و"مدن الوسط الإسرائيلية"، في إطار ردّها على العدوان الصهيوني؛[58] قُتل فيها إسرائيلي واحد، وأُصيب 77 آخرون، واستشهد 33 فلسطينياً، وجرح 190.[59] ومن بين الشهداء 11 عضواً من القادة العسكريين لسرايا القدس.[60]

وأعلن المكتب الإعلامي الحكومي في غزة أن إجمالي الوحدات السكنية المتضررة 2,041 وحدة سكنية، بقيمة تقديرية للخسائر تقدر بـ 9 ملايين دولار؛ وشملت 31 منزلاً هدماً كلياً، بما مجموعه 93 وحدة سكنية، وأصبحت 128 وحدة سكنية غير صالحة للسكن، فيما 1,820 وحدة سكنية تضررت بشكل جزئي. وبلغت قيمة الخسائر في القطاع الزراعي 3 ملايين دولار، علماً بأنه تمّ تقدير الخسائر المرتبطة بتوقف العجلة الاقتصادية بـ 40 مليون دولار طيلة أيام العدوان الخمسة.[61]

في المحصلة، سُجّل إنجازان في معركتَي وحدة الساحات وثأر الأحرار، في مصلحة المقاومة، وقد بينّ ميزان القوى العام ذلك. وهو ما سيتأكد بصورة قاطعة في عملية طوفان الأقصى الاستثنائية.

رابعاً: معركة "طوفان الأقصى" والعدوان الإسرائيلي على القطاع:

1. تنفيذ عملية "طوفان الأقصى":

قامت كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس بهجوم صاعق واسع في 2023/10/7، استهدف الفرقة العسكرية الإسرائيلية المتمركزة حول قطاع غزة، حيث تمكنت من تحطيم هذه الفرقة والسيطرة على مواقعها، كما تمكنت من اجتياح مستوطنات غلاف غزة، وبمساحة تزيد عن ضِعْف مساحة قطاع غزة نفسه. وحقق ذلك نحو 1,400 من مقاتلي القسام في بضع ساعات فقط؛ وتمكنوا من قتل نحو 1,200 صهيوني وأسر نحو 250 آخرين. ثم انضمت حركة الجهاد الإسلامي وفصائل المقاومة لمعركة طوفان الأقصى منذ اليوم الأول. وقد بادرت حماس لهذه العملية لوضع حدٍّ لكل جرائم الاحتلال المتواصلة بحقّ الشعب الفلسطيني، واقتحاماته المتكررة للمسجد الأقصى، كما سعت لإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين من سجون الاحتلال، كما أعلن قائد هيئة الأركان في كتائب القسام محمد الضيف "أبو خالد"، عند إعلانه بدء عملية "طوفان الأقصى" في 2023/10/7.[62]

ولقد مثّلت عملية "طوفان الأقصى" ضربة تاريخية نوعية للكيان الصهيوني، لم يسبق لها مثيل منذ إنشائه قبل 75 عاماً، حيث اجتمعت فيها عناصر المفاجأة الصاعقة العسكرية والأمنية

الاستراتيجية، وحسن الإعداد والتخطيط والتنفيذ، واجتياح منطقة معتبرة من فلسطين المحتلة سنة 1948، وإحداث أكبر قدر من القتلى والجرحى والأسرى مقارنة بكل المعارك التي خاضها الفلسطينيون منذ إنشاء الكيان، بل وبمعظم الحروب العربية الإسرائيلية. وشعر الكيان الصهيوني، الذي بدا مرتبكاً مصدوماً، بالمهانة وهو يرى بعينه تحطّم نظرية الأمن، وانهيار جدران الردع المادي والنفسي، ورأى بنفسه كيف اقتحم رجال القسام 20 مستوطنة، و11 موقعاً عسكرياً في بضع ساعات.[63] من جهة أخرى، فإن نظرة مُدقَّقة في عملية طوفان الأقصى، وما تأكد لاحقاً لا سيّما في الحرب البرية، تُثبت أننا أمام قيادة عسكرية فلسطينية على أعلى مستوى، لم يظهر لها مثيل من قبل، من جهة المقاومة العسكرية.

2. الدلالات الاستراتيجية لعملية طوفان الأقصى:

أ. سقوط "نظرية الأمن الإسرائيلي" القائمة على مبادئ الردع والإنذار المبكر والقدرة على الحسم؛ والتي أضيف إليها مبدأ رابع سنة 2015 هو مبدأ الدفاع. حيث تهاوت هذه المبادئ الأربعة في هذه العملية.

ب. سقوط فكرة "الملاذ الآمن لليهود": فلِأن الأمن هو أمرٌ جوهري في العقيدة الصهيونية وأساس في بنية الكيان الإسرائيلي، باعتباره يوفر ملاذاً آمناً ليهود العالم، وباعتباره قادراً على سحق وردع كل القوى والجيوش في البيئة الاستراتيجية المحيطة؛ فإن الضربة التي تلقاها في الصميم ستُفرغ المشروع الصهيوني من محتواه، وتفقد "أرض الميعاد" جاذبيتها، وتجعل اليهود الصهاينة المقيمين يتطلعون للهجرة المعاكسة وللعودة إلى البلدان التي جاؤوا منها.

ج. فشل "إسرائيل" في تقديم نفسها كقلعة متقدمة للعالم الغربي، وكشرطي للمنطقة والقوة المهيمنة فيها. فبعد حالة العجز والفشل في التعامل مع المقاومة الفلسطينية، وبعد سقوط نظرية الأمن، وانهيار الردع، وانكشاف أن "نِمرها" هو "نِمر من ورق"، أصبح هناك مخاوف حقيقية لدى الغرب أن تكون "إسرائيل" قوة يعتمد عليها في الهيمنة على المنطقة. أدى ذلك إلى ضرب الدور الوظيفي للكيان والأساس الذي أنشئ لأجله، وأدت إلى خلخلة منظومة التحكم والسيطرة الغربية في المنطقة، باعتبار "إسرائيل" حجر الزاوية في تنفيذ السياسة الأمريكية الغربية فيها.

د. وجَّهت ضربة قاسية لمشاريع التطبيع الإسرائيلية مع العالم العربي والإسلامي؛ فمع بروز الأداء البطولي للمقاومة، وانكشاف الوجه الوحشي البشع للاحتلال الإسرائيلي وارتكابه المجازر بحق المدنيين، فإن الأنظمة الحاكمة توقفت عن اندفاعتها تجاه التطبيع.

من جهة أخرى، فَقَدَ التطبيع مبرراً أساسياً لتسويق نفسه، فلسنوات طويلة سعت "إسرائيل" لتقديم نفسها كقوة يُعتمد عليها في إدارة النزاعات في المنطقة، وفي ترجيح كفة أي طرف يتحالف معها ويطبّع معها. وكان ذلك مبرراً للتطبيع لدى عدد من دول المنطقة. غير أن الضربة القاصمة التي تلقتها من مجموعة محدودة من المقاتلين في 7 تشرين الأول/ أكتوبر قد أضرت بصورتها الرادعة بشكل كبير، ولم تعد قادرة على تسويق نفسها كقوة موثوقة تلجأ إليها دول المنطقة في حلّ نزاعاتها، وفي حسم صراعاتها مع أعدائها.

هـ. هزّت عملية طوفان الأقصى الكيان الإسرائيلي؛ فقد جعلت موضوع "الوجود" والبقاء لدى الكيان الإسرائيلي محلَّ تساؤل. ولذلك، فإن الكيان الإسرائيلي رأى أن هذه المعركة "معركة الاستقلال الثانية"[64] أو "معركة وجود"؛[65] كما قال وزير الحرب الإسرائيلي يوآف جالانت إنه إذا لم يُفكّك الجيش قدرات حماس بشكل كامل، "فلن نتمكن من العيش في إسرائيل".[66] وهزّت العملية الوضع السياسي الداخلي خصوصاً حزب الليكود الحاكم، الذي يَتسيّد الساحة السياسية منذ 15 عاماً متواصلة، والتي تشير استطلاعات الرأي أنه سيفقد نحو نصف مقاعده في أي انتخابات قادمة.

و. مَثَّل الإنجاز الكبير الذي حققته معركة طوفان الأقصى، حالة إلهام غير مسبوقة للأمة العربية والإسلامية بإمكانية تحرير الأرض المقدسات. وشعر الكثير من الناس أنهم أمام "بيت عنكبوت" وأن هيمنته وجبروته واحتلاله ليس قدراً، وأنه يمكن هزيمته. وأن ضعف الحكومات والأنظمة الرسمية العربية والإسلامية وعجزها لا مبرر له.

ز. عزّزت معركة طوفان الأقصى المشروع الإسلامي لفلسطين، إذ إن حركة حماس التي نفذت الهجوم، وتولت العبء الأكبر في مواجهة العدوان الصهيوني، والتي تدير قطاع غزة منذ 17 عاماً، هي حركة إسلامية تتبنى الإسلام عقيدة وفكراً ومنهجاً، ومرجعية لمشروع تحرير فلسطين. وتقف إلى جانبها حركة الجهاد الإسلامي شقيقتها الأصغر التي تتبنى المبادئ والمرجعية نفسها.

ح. عبَّرت معركة طوفان الأقصى عن مركزية الأقصى والقدس في الوجدان الفلسطيني والعربي والإسلامي، بما يجعله مهوى القلوب ومصدر إلهام عظيم. ولذلك، فإن تمادي الصهاينة في العدوان على القدس ومحاولة تهويد الأقصى، كان طوال العقود الماضية عنصر تثوير وتفجير في مواجهة المشروع الصهيوني...، وهو ما كان سبباً أساسياً لمعركة طوفان الأقصى التي حملت اسمه.

ط. كرّست المعركة عملياً مشروع المقاومة، باعتباره الأداة الفعالة الصحيحة لانتزاع حقوق الشعب الفلسطيني ودحر الاحتلال. وقد تزامن هذا مع سقوط مسار التسوية السلمية،

وفشل منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية في الاعتماد على اتفاقات أوسلو Oslo Accords على مدى 30 عاماً، لإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على فلسطين المحتلة سنة 1967.

ي. أكدت المعركة فشل المشروع الصهيوني في تطويع الإنسان الفلسطيني. فخلال 30 عاماً من الاحتلال البريطاني وخلال 75 عاماً من إنشاء الكيان الإسرائيلي لم يتوقف الشعب الفلسطيني عن الانتفاضة والثورة...، موجات تصعد وتهبط ولكنها مستمرة. ولم تنفع معه كافة أشكال القهر والتهجير والتدمير والمعاناة.

ك. عززت معركة طوفان الأقصى انكشاف وفشل منظومة القيم الغربية أمام العالم. وإذا كان عددٌ من هذه القيم وزيفها مكشوفاً منذ زمن لدى كثيرين في عالمنا الإسلامي، إلا أن هذه الحرب قد أظهرتها بشكل فاضح.

3. تطورات المعركة والحرب على غزة:

أخذ الاحتلال الإسرائيلي يُلملم نفسه ليستوعب الحجم التاريخي الهائل للحدث، الذي ضرب كيانه في الصميم، وجعله يستحضر "الخطر الوجودي" على بقائه وعلى مشروعه، في هكذا بيئة معادية. ولذلك، سعى أولاً بأقصى طاقته لتوحيد جبهته الداخلية، ولإظهار وحدته وتماسكه، فعمل لاستعادة صورته الرادعة التي هشمتها عملية "طوفان الأقصى"، من خلال حملة عسكرية واسعة مدمرة، وباغتيال عدد من القيادات السياسية والعسكرية للمقاومة وخصوصاً حماس... مستفيداً من الدعم الأمريكي والأوروبي الغربي المفتوح، الذي تجاوز تحفظاته تجاه الحكومة الصهيونية المتطرفة، ودخل منذ اليوم الأول سنداً معنوياً ومادياً للكيان، وغطاءً للعدوان البشع على قطاع غزة.[67]

وقد تميّزت معركة طوفان الأقصى، والحرب الإسرائيلية التي تلتها على القطاع بما يلي:[68]

أ. **شكل المعركة:** بحيث كانت مبادرة هجومية الشكل، من كتائب القسام، وبأسلحة وأدوات وأهداف بعيدة عن تلك المرتبطة بالمواجهات العسكرية السابقة، وتحديداً فرض المعركة على "أرض العدو".

ب. **القتل الجماعي للمدنيين:** الذي اتّسم به الرد على طوفان الأقصى، وهو ما يعدّ جرائم حرب وإبادة غير مشروعة ومحرمة ولا تدخل في إطار الحرب أو يُعدُّ الطوفان سبباً لها.

ج. **أهداف العملية العسكرية:** وفي مقدمتها القضاء على قيادة حماس ومقاومتها في القطاع، وخططُ تهجير السكان وتفريغ القطاعِ منهم، وإنهائِه كحالة سياسية، وإعادة احتلاله إن أمكن... ويعود ذلك لنظر الاحتلال لهذه المعركة على أنها حرب وجودية، ترتبط بمصيره،

ولذلك فهو يسعى لردع دائم بإيقاع أكبر قدر من الخسائر، وبات أكثر قدرة على تحمّل خسائر لم يكن ليقبل أقل القليل منها، في مواجهات سابقة.

د. ثمة تشابه كبير بين بعض التطورات الحالية، ووقائع إنشاء المشروع الصهيوني على في فلسطين خلال نكبة 1948؛ من ناحية المجازر والدمار والتهجير الذي أحدثه الاحتلال.

هـ. نفي الصفات الإنسانية عن أهالي غزة؛ لتبرير عملياته واستهدافه من جهة ثانية. ومن أبرز الأمثلة على ذلك تشديد الرئيس الإسرائيلي إسحق هيرتزوج Isaac Herzog على أنه "ليس هناك أبرياء في غزة"، وتصريح وزير الدفاع يوآف جالانت بأن الفلسطينيين أو المقاومين "حيوانات بشرية".

و. المواقف: "الموقفُ الغربي" الداعم للاحتلال بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، التي تنظر للحرب على أنها حربها هي، مقابل موقف "عربي – إسلامي" أقل ما يقال فيه؛ إنه عاجز عن إغاثة غزة، عِوضاً عن نُصرتها، بل يصل موقف بعض الأنظمة حدود التواطؤ والتناغم مع الأهداف الإسرائيلية المتعلقة بإسقاط حركة حماس على وجه التحديد.

فاجأت كتائبُ القسام، الاحتلالَ الإسرائيلي بعملية "طوفان الأقصى"، وأطلقت، في ساعة مبكرة من صباح يوم السبت 2023/10/7، رشقات صاروخية مكثفة من قطاع غزة باتجاه الأراضي الفلسطينية التي تحتلها "إسرائيل" منذ سنة 1948، وأعلن محمد الضيف أن "الضربة الأولى التي استهدفت مواقع العدو وتحصيناته تجاوزت 5 آلاف صاروخ وقذيفة"،[69] إضافة إلى تنفيذ هجومٍ بري وبحري وجوي. حيث اقتحم جنود القسام مستعمرات غلاف غزة. وأظهرت مشاهد عدّة دخول عناصر القسام داخل "المدن الإسرائيلية"، واشتباكهم مع قوات الاحتلال، فيما سيطروا على مرافق وميادين رئيسة. وبثّ نشطاء إحراق المقاومة لدبابة إسرائيلية قرب الحدود الفاصلة مع قطاع غزة. وقالت صحيفة يديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth إن جنود القسام استولوا على مركبات مدرّعة للجيش الإسرائيلي وسحبوها إلى قطاع غزة.[70]

وأعلن الجيش الإسرائيلي "التأهب لحالة الحرب بعد تسلل فلسطينيين إلى قلب إسرائيل".[71] وأعلن وزير الدفاع الإسرائيلي حالة الطوارئ في نطاق 80 كم من قطاع غزة، وأكّدت صحيفة هآرتس العبرية أن الهجوم من غزة شكَّل مفاجأة كبيرة للاستخبارات العسكرية. ووفق مصادر عبرية فَقَدَ جيش الاحتلال السيطرة على إحدى قواعده وعلى حاجز إيرز Erez. وأضافت مصادر أخرى أن مقاتلي القسام تمكنوا من التسلل إلى منطقة زيكيم الساحلية.[72] ونقل تلفزيون أي 24 نيوز i24NEWS العبري، عن مفوض الشرطة الإسرائيلي قوله إن "مسلحين من حركة حماس اشتبكوا في معارك في 21 موقعاً في جنوب إسرائيل".[73]

وقالت كتائب القسام إن سلاحها الجوي شارك بـ 35 مسيّرة انتحارية من طراز "الزواري" في جميع محاور القتال، وأسهم في التمهيد الناري لعبور مقاتليها إلى الأراضي المحتلة.[74] وأكّد الناطق الرسمي لكتائب القسام أبو عبيدة، خلال كلمة متلفزة، في 2023/10/8، على أن مجاهدي القسام تمكنوا من الوصول إلى منطقة مفكاعيم، جنوب عسقلان المحتلة، وخاضوا اشتباكات ضارية أدّت إلى عدد كبير من القتلى والإصابات في صفوف العدو. وكشف بأن عدداً من المجاهدين تمكّنوا من الانسحاب بسلام من قاعدة "أوريم Urim"، التي تضمّ وحدة 8200، التابعة لشعبة الاستخبارات العسكرية، بعد انتهاء مهمتهم فيها. وأعلن أبو عبيدة عن "تمكن مجموعة من مجاهدي القسام خلال اليوم الأحد من اقتياد مجموعة جديدة من أسرى العدو والعبور بهم إلى قطاع غزة"، وكشف بأن "مجاهدي القسام في مواقع القتال وثّقوا حالات قتلٍ من قبل العدو لعددٍ من أسراه، بعد أن تَمكَّن المجاهدين من احتجازهم".[75]

تواصلت الاشتباكات بين القوات الإسرائيلية ومقاومين فلسطينيين بمواقع داخل مستعمرات غلاف غزة، لعدة أيام. وأعلنت إذاعة الجيش الإسرائيلي عن قرار إخلاء 25 مستعمرة وكيبوتس في غلاف غزة. وذكرت قناة ريشت كان العبرية أن عناصر حماس اقتحموا 20 مستعمرة، و11 موقعاً عسكرياً للجيش الإسرائيلي، واخترقوا السياج من 80 ثغرة، وقدّرت عدد المقتحمين من 800 إلى 1,000، وذكرت أن حماس أعدّت هذه الخطة منذ أكثر من عام، دون أن ينضمّ إليها أي شريك في خطتها السرية.[76]

وأكّد أبو عبيدة أن حماس وضعت خططاً مكثفة ودقيقة لتنفيذ "طوفان الأقصى"،[77] وقال إن "عدد الأسرى الإسرائيليين لدى المقاومة الفلسطينية ما بين 200 و250 أسيراً، لدى القسام نحو 200 أسير، والبقية موزعون لدى مكونات المقاومة الأخرى". وأقر أبو عبيدة بوجود محتجزين من جنسيات أخرى، مؤكداً أنهم ضيوف لدى الشعب الفلسطيني، وتابع قائلاً: "سيتمّ إطلاق سراح الأسرى الأجانب حينما تسمح الظروف الميدانية".[78] وأكّد الأمين العام لحركة الجهاد زياد النخالة أن لدى حركته أكثر من 30 أسيراً إسرائيلياً حتى اللحظة، و"لن يعودوا إلى بيوتهم إلا بتحرير أسرانا".[79] وفي سياق متصل، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو تعيين الجنرال المتقاعد جال هيرش Gal Hirsch، مسؤولاً عن ملف الأسرى والمفقودين في قطاع غزة وغلافه.[80]

وقُتِل خلال عملية اقتحام غلاف غزة في 2023/10/7 أكثر من 1,200 إسرائيلي، بعدما كانت التقديرات الإسرائيلية الحكومية تشير في السابق إلى مقتل أكثر من 1,400. وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية ليؤور هايات Lior Hayat، في 2023/11/10، إنه جرى تعديل عدد القتلى في 2023/11/9، لأن "الكثير من الجثث التي لم يتمّ التعرف إليها" سابقاً تعود إلى عناصر شاركوا في هجوم 2023/10/7.[81]

وشدّد محمد الضيف على أن قيادة "القسام" قررت وضع حدٍّ لكل جرائم الاحتلال، "وانتهى الوقت الذي يعربد فيه دون محاسب". وذكر أن "اليوم يتفجر غضب الأقصى، وغضب أمتنا، ومجاهدونا الأبرار، وهذا يومكم لتفهِموا العدو أنه قد انتهى زمنه"، مؤكّداً أنه "بدءاً من اليوم ينتهي التنسيق الأمني، وكل من عنده بندقية فليخرجها فقد آن أوانها". وقال الضيف: "ابدأوا بالزحف الآن نحو فلسطين، ولا تجعلوا حدوداً ولا أنظمة ولا قيوداً تحرمكم شرف الجهاد والمشاركة في تحرير المسجد الأقصى". ووجّه رسالته للمقدسيين وأهالي الداخل المحتل، قائلاً: "أهلنا في القدس اطردوا المحتلين واهدموا الجدران، ويا أهلنا في الداخل والنقب والجليل والمثلث أشعلوا الأرض لهيباً تحت أقدام المحتلين".[82]

وبدوره، قال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية إن المقاومة الفلسطينية في غزة تخوض "ملحمة بطولية عنوانها الأقصى ومقدساتنا وأسرانا"، و"معركة الشرف والمقاومة والكرامة للدفاع عن المسرى والأقصى"، مشدداً على أن "هذا الطوفان بدأ من غزة، وسوف يمتدُّ للضفة والخارج، وكل مكان يتواجد فيه شعبنا وأمتنا".[83] وقال نائب رئيس المكتب السياسي لحماس صالح العاروري، في كلمة له عبر قناة الأقصى الفضائية: "علينا أن نخوض جميعاً هذه المعركة، وأخصّ المقاومين بالضفة"، مؤكداً على أن الضفة هي كلمة الفصل في هذه المعركة، وتستطيع أن تفتح اشتباكاً مع كل المستعمرات فيها.[84] وأكّد العاروري، في اتصال مع الجزيرة، أن عملية "طوفان الأقصى" جاءت استباقاً لهجوم كانت تنوي "إسرائيل" شنّه على قطاع غزة فور انتهاء الأعياد اليهودية، مشدداً على أن الخطة الدفاعية للعملية أقوى من الخطة الهجومية.[85]

وفي المقابل، قرّر المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر للشؤون السياسية والأمنية (كابينت) تفعيل بند الحرب في "قانون أساس: الحكومة"، وفق ما ذكرت هيئة البث الإسرائيلي (كان). ويسمح تفعيل هذا البند للحكومة بإصدار أوامر بشأن "تنفيذ عمليات عسكرية كبيرة من شأنها أن تؤدي باحتمالية قريبة من اليقين إلى حرب".[86] وأعلن المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي أفيخاي أدرعي Avichay Adraee، عبر منصة إكس X، إطلاق عملية "السيوف الحديدية" في قطاع غزة، رداً على "طوفان الأقصى". وأعلن جيش الاحتلال حالة "تأهب الحرب".[87]

وفي 2023/10/11، أعلن نتنياهو وعضو المعارضة بني جانتس، في بيان مشترك، تشكيل "حكومة طوارئ وحكومة حرب"، حيث انضم إليها حزب المعسكر الوطني National Unity party برئاسة جانتس.[88] وفي 2023/10/12، أعلن نتنياهو "بيان إعلان الحرب" أمام الهيئة العامة للكنيست، حيث صوتوا بعد ذلك على منح "حكومة الطوارئ" الثقة طول مدة الحرب،

وأعلن عن قرار الكابينت تطبيق المادة 40 من القانون الأساسي فيما يتعلق بـ"القيام بأعمال عسكرية كبيرة".[89]

وقال نتنياهو، في خطاب مصوّر: "لقد بدأت حماس حرباً ضارية وشريرة. نحن سننتصر في هذه الحرب لكن الثمن باهظ. إنه يوم صعب لنا جميعاً. ترغب حماس في قتلنا جميعاً". وشدد نتنياهو على أنهم في "إسرائيل" سيسدِّدون "لهم ضربة مبرحة لننتقم لهذا اليوم الأسود الذي سببوه لدولة إسرائيل ومواطنيها. وأقول لأهل غزة: غادروها الآن لأننا سنتصرف في كل مكان وبكامل قوتنا. وستستغرق هذه الحرب الكثير من الوقت وستكون صعبة وسنواجه أياماً مليئة بالتحديات".[90] وزعم نتنياهو، في اتصال مع الرئيس الأمريكي جو بايدن Joe Biden: "تعرضنا السبت [في 2023/10/7] لهجوم بوحشية غير مسبوقة منذ المحرقة...".[91]

وقد ترافق العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة مع حملة أكاذيب وادّعاءات مضلِّلة حول العملية التي قامت بها حماس، بما في ذلك اتهامات بقتل أطفال وعمليات اغتصاب وغيرها مما ثبت كذبه لاحقاً.

وأكّدت حركة حماس، في تصريح صحفي، "بشكلٍ قاطع كذب الادّعاءات الملفقة التي تروّج لها بعض وسائل الإعلام الغربية، والتي تتبنى بشكلٍ غير مهني الرواية الصهيونية المليئة بالأكاذيب والافتراءات على شعبنا الفلسطيني ومقاومته، والتي كان آخرها الادعاء بقتل أطفال وقطع رؤوسهم واستهداف مدنيين". وشددت حماس على أنها "استهدفت المنظومة العسكرية والأمنية الإسرائيلية في معركة طوفان الأقصى وهي أهدافٌ مشروعة".[92] وبثّت كتائب القسام مقاطع فيديو لتعامل مقاتليها مع أطفال مستوطنين في كيبوتس "حوليت" خلال اقتحام طوفان الأقصى في 2023/10/7.[93] كما روت مستوطنة إسرائيلية كيف رفض مقاتلو المقاومة الفلسطينية إيذاءها رفقةً بأولادها خلال عملية طوفان الأقصى، مشيرة إلى أن "هذا فاجأني وطمأنني أيضاً".[94]

وفي خطوة قالت عنها منظمة هيومن رايتس ووتش Human Rights Watch الحقوقية، إنها "دعوة لارتكاب جرائم حرب"؛[95] أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف جالانت مجموعة إجراءات، رداً على هجوم حركة حماس في 2023/10/7، وقال: "لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا وقود، كل شيء مغلق"، مضيفاً: "نحن نحارب حيوانات بشرية، ونتصرف وفقاً لذلك". كذلك أمر وزير الطاقة يسرائيل كاتس Yisrael Katz شركة المياه الوطنية بقطع إمدادات المياه عن قطاع غزة "فوراً".[96] وشدّد جالانت على أن حماس ارتكبت خطأ فادحاً من خلال الهجوم

الذي نفذته داخل مدن وبلدات إسرائيلية،[97] متوعداً بـ"إسقاط حكومة حماس وتدمير قدراتها العسكرية".[98]

وفي السياق نفسه، أصدر زعماء الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا بياناً مشتركاً، أعربوا فيه عن "دعمهم الثابت والموحد" لـ"إسرائيل". وجاء في البيان، الذي أصدره الرئيس الأمريكي جو بايدن، ونظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون Emmanuel Macron، والمستشار الألماني أولاف شولتس Olaf Scholz، ورئيسة حكومة إيطاليا جورجيا ميلوني Giorgia Meloni، ورئيس الوزراء البريطاني ريشي سوناك Rishi Sunak، ونشره قصر الإليزيه، أنه "خلال الأيام المقبلة، سنبقى متَّحدين وسنواصل التنسيق معاً كحلفاء وأصدقاء مشتركين لإسرائيل، لضمان قدرتها على الدفاع عن نفسها، ولتهيئة الظروف في نهاية المطاف لشرق أوسط ينعم بالسلام والاندماج".[99]

وفي حين قال البيت الأبيض إنه ليس لدى واشنطن أي نية لنشر قوات عسكرية على الأرض،[100] أمر بايدن بـ"دعم إضافي" لـ"إسرائيل"، وأشار البيت الأبيض إلى أن بايدن أبلغ نتنياهو بأن مساعدة عسكرية أمريكية إضافية في طريقها إلى "إسرائيل".[101] وأكّد بايدن استعداده لإرسال مزيد من الموارد العسكرية إلى "إسرائيل"، وتعزيز القوات الأمريكية في الشرق الأوسط، تأهباً للردع إذا تطلب الأمر. وأضاف بايدن أنه وجّه بتحرّك حاملة الطائرات "يو أس أس جيرالد آر فورد USS Gerald R. Ford" إلى شرق المتوسط لدعم وجودهم البحري في المنطقة.[102]

4. العدوان البري:

بعد الضربة الاستباقية الكبيرة التي تعرّضت لها المؤسسة العسكرية والأمنية الإسرائيلية في 2023/10/7، تركزت التصريحات الإسرائيلية على ضرورة إطلاق حرب برية في قطاع غزة، وذلك لتحقيق ما أعلنه نتنياهو وأعضاء حكومة الحرب من أهداف، وهي: إطلاق سراح الأسرى لدى الفصائل المقاومة في قطاع غزة، والقضاء على حركة حماس، وإنهاء حكمها في القطاع، وخططُ تهجير السكان وتفريغ القطاعِ منهم، وإنهائِه كحالة سياسية، وإعادة احتلاله إن أمكن.

فعلى الرغم من العدد الكبير، وغير المسبوق، من الشهداء والجرحى والمفقودين، والتدمير الواسع والشامل لقطاع غزة، لم يستطع الاحتلال كسر حماس وبنيتها العسكرية، إذ كان النصيب الأكبر من انتقام قوات الاحتلال من حظّ المدنيين العُزّل، والبُنى التحتية، والمقار الحكومية. فالعقلية الصهيونية قائمة على العنف لتحقيق أهدافها، فإن ما لا يتحقق بالقوة، يمكن أن يتحقق بالعنف، ومزيد من العنف.

ووفق هذه الدوافع، بدأ الجيش الإسرائيلي عمليته البرية في غزة في 2023/10/27، في شمال قطاع غزة، ودعا سكان الشمال للانتقال إلى الجنوب، زاعماً أنه منطقة آمنة، ولكن مجريات

العدوان أكدت أنه لا يوجد مكان آمن في القطاع، حيث توزعت المجازر الصهيونية على كافة مناطق قطاع غزة.

وبالمقابل، أعلنت القسام أن المقاومة جاهزة للتصدّي لتوغل القوات الإسرائيلية في جميع المحاور، وأكد الناطق الرسمي لكتائب القسام أبو عبيدة أن التهديد بحرب برية أمر مثير للسخرية، وأنهم جاهزون لمعركة طويلة ومستعدون لكل الاحتمالات.[103] ووجه أبو عبيدة رسالة إلى قادة "إسرائيل"، قائلاً إنه "يبشر نتنياهو وأركان حربه أنهم سيجثون على الركب في نهاية المعركة، والحرب في غزة ستكون نهايته السياسية"، مؤكداً أن المقاومة ما تزال في "جعبتها الكثير، وغزة ستكون مقبرة للعدو ووحلاً لجنوده وقيادته السياسية والعسكرية".[104] وشدّد على أن أعداد القتلى الإسرائيليين أكبر بكثير مما تعلنه القيادة الإسرائيلية، متوعّداً بجعل غزة "لعنة التاريخ" على هذا الكيان.[105] وأكد أبو عبيدة أن العدد الكبير من الأسرى الإسرائيليين لدى المقاومة ثمنه "تبييض كافة سجونه من كافة الأسرى" الفلسطينيين.[106]

وبعد هدنة إنسانية مؤقتة استمرت 7 أيام (23–2023/11/30)، تمّ إطلاق 240 أسيراً فلسطينياً (75 امرأة، و165 قاصراً)، وإطلاق المقاومة الفلسطينية لسراح 80 أسيراً إسرائيلياً (44 امرأة، و36 قاصراً)، عدد منهم مزدوجي الجنسية، و27 من الأجانب؛ أعلن الجيش الإسرائيلي، في 2023/12/3، أنه وسّع عمليته البرية في غزة، وقالت إذاعة الجيش الإسرائيلي إن الجيش بدأ عملية برية شمال خانيونس، جنوبي القطاع، في حين قال المتحدث باسم الحكومة الإسرائيلية بأن عمليتهم العسكرية تتركز على خانيونس. وقال مصدر قيادي بكتائب القسام للجزيرة إن العملية البرية الإسرائيلية تتركز جنوب قطاع غزة، بالتزامن مع عمليات مناورة محدودة في الشمال، مؤكداً أن 70% من القوات الإسرائيلية انسحبت لخارج شمال قطاع غزة، نتيجة فشل عملياتها، وبسبب ضربات المقاومة.[107]

وفي نهاية كانون الأول/ ديسمبر 2023، وسّع الجيش الإسرائيلي نطاق عدوانه البري ليشمل مخيمات البريج، والنصيرات، والمغازي في وسط قطاع غزة. ودعا الجيش الإسرائيلي إلى إخلاء مناطق وسط غزة، والانتقال جنوباً إلى بلدة دير البلح.

5. الخسائر:

بلغ عدد الشهداء الفلسطينيين في قطاع غزة، خلال عملية "طوفان الأقصى"، في الفترة 2023/12/31–10/7 أي بعد 86 يوماً من العدوان الصهيوني المتواصل، 21,822 شهيداً، و56,451 مصاباً، وأكثر من 7 آلاف مفقود، 70% منهم من الأطفال والنساء، في أكثر من 1,825 مجزرة، بينهم نحو 9 آلاف شهيد من الأطفال، و6,450 شهيدة من النساء، و312 من الطواقم الطبية، و40 من الدفاع المدني، و106 من الصحفيين، و136 موظفاً بالأمم المتحدة.

وبلغ عدد الشهداء في القطاع التعليمي أكثر من 4,037 طالباً و209 موظفين تعليميين، ومن بين الجرحى 7,259 طالباً و619 موظفاً.[108]

وذكر المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان Euro-Mediterranean Human Rights Monitor، أن إحصاءاته الأولية حتى مساء 2023/12/26، تفيد باستشهاد 29,124 فلسطينياً، 26,706 هم من المدنيين، منهم 11,422 طفلاً، و5,822 من النساء، و481 من الكوادر الصحية، و101 صحفي، فيما أُصيب 56,122 بجروح مختلفة بينهم المئات في حالة خطيرة. وذكر المرصد أن أرقامه تشمل آلاف الضحايا ممن تمّ إحصاؤهم تحت أنقاض المباني المدمرة. وقال المرصد الأورومتوسطي إن "إسرائيل" تصرّ على تصعيد جريمة الإبادة الجماعية التي تمارسها بحقّ المدنيين الفلسطينيين بغرض دفعهم للتهجير القسري، بما ينتهك القانون الدولي وقد يرتقي إلى جريمة حرب. وأكد أن "إسرائيل" استهدفت، وما تزال، بشكل ممنهج الأعيان المدنية لإيقاع أكبر عدد ممكن من الضحايا، وإلحاق الدمار، والخسائر المادية، كشكل من أشكال الانتقام والعقاب الجماعي.[109]

ومن أبرز شهداء قطاع غزة رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني بالإنابة، القيادي في حركة حماس، أحمد بحر، والنائبة الفلسطينية وعضو المكتب السياسي في حركة حماس جميلة الشنطي، ورئيس دائرة العلاقات الوطنية في حركة حماس في قطاع غزة زكريا أبو معمر، ورئيس الدائرة الاقتصادية في الحركة في قطاع غزة جواد أبو شمالة. كذلك نعت كتائب القسام عدداً من أبرز قادتها، بينهم أحمد الغندور، عضو المجلس العسكري وقائد لواء شمال قطاع غزة، وأيمن نوفل قائد لواء المنطقة الوسطى، والشهداء القادة وائل رجب، ورأفت سلمان، وأيمن صيام.[110]

وكشف مدير المكتب الإعلامي الحكومي في غزة إسماعيل الثوابتة، في مطلع 2024 لصحيفة "اليوم السابع"، حجم المتفجرات التي ألقاها جيش الاحتلال على قطاع غزة، موضحاً أن أكثر من 65 ألف طن من المتفجرات تمّ إلقاءها على القطاع، وهو ما يقارب ثلاث قنابل نووية كالتي تمّ إلقاؤها على مدينة هيروشيما اليابانية، مؤكداً استخدام جيش الاحتلال الإسرائيلي لأسلحة محرمة دولياً في قصفه. وأكد الثوابتة أن ثلثيْ القنابل والصواريخ التي ألقتها طائرات الاحتلال هي قنابل غير موجهة وغير دقيقة، أو ما تعرف باسم "القنابل الغبية"، مما يشير إلى القتل العشوائي وغير المبرر والمخالف للقانون الدولي وللاتفاقيات الدولية.[111]

وأسقطت طائرات الاحتلال على قطاع غزة أكثر من 45 ألف صاروخ وقنبلة عملاقة، يزن بعضها ألفيْ رطل (نحو 906 كغ) من المتفجرات. واستعرض الثوابتة أبرز الأسلحة المحرمة دولياً التي يستخدمها جيش الاحتلال؛ ومنها القنابل الخارقة للحصون من نوع بي أل يو-113 أو BLU-113، ونوع بي أل يو-109 أو BLU-109، ونوع أس دي بي أس SDBs، مثل قنابل

جي بي يو–28 أو GBU–28، والقنابل الموجهة بنظام جي بي أس GPS، وقنابل الفوسفور الأبيض المحرم دولياً، والقنابل المستخدمة في القتل الجماعي للمدنيين وتدمير المنشآت والمنازل والتي يطلقون عليها "قنابل غبية" أو غير موجهة، ويتم تركيب منظومة "جدام – JDAM" لتحويلها إلى قنابل ذكية. وأكد الثوابتة أن استخدام هذه الأسلحة تؤدي إلى إحداث الضرر الدائم للضحايا مثل التشوهات أو الإعاقات الدائمة والبتر، بالإضافة إلى التلوث البيئي بشكل كبير.[112]

وذكر الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن هنالك نحو 1.9 مليون فلسطيني داخل القطاع بعيداً عن أماكن سكناهم. وأعلنت وزارة الأشغال العامة والإسكان في قطاع غزة أن عدد الوحدات السكنية المتضررة بلغ 369 ألف وحدة، حيث قام الاحتلال، منذ بداية العدوان في 2023/10/7 وحتى 2024/3/9، بتدمير ما لا يقل عن 79 ألف وحدة سكنية بشكل كلي، وأكثر من 290 ألفاً بشكل جزئي. وأشارت الوزارة إلى أن عدد المباني المهدمة بلغ أكثر من 25,010، وأنه تمّ تدمير 161 مسجداً،[113] فيما أعلنت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في قطاع غزة، في 2024/1/21، أن عدد المساجد التي تمّ تدميرها بشكل كلي أو جزئي بلغ ألف مسجد من أصل 1,200، بما في ذلك المساجد الأثرية، التي تحتاج إلى جهود لإعادة الإعمار بتكلفة تُقدّر بنحو 500 مليون دولار.[114] وأعلنت وزارة الأشغال تدمير ثلاث كنائس، و140 مقراً حكومياً، و433 مدرسة وجامعة (99 كلياً، و334 جزئياً)، وذكرت أن هناك 30 مستشفى و53 مركزاً صحياً أصبحت خارج الخدمة، و25 مستشفى متضرر نتيجة القصف، و122 سيارة إسعاف مدمرة،[115] وتدمير مقرات 50 وسيلة إعلامية.[116] بالإضافة إلى تضرر نحو 18% من المساحات الزراعية في قطاع غزة، وقد كان الضرر المباشر والأكبر في محافظات شمال غزة حيث إن الضرر قد استهدف نحو 39% من المساحات الزراعية في محافظة شمال غزة، و27% في محافظة غزة.

علاوة على ذلك، أصبح سكان قطاع غزة يفتقرون لأساسيات الحياة من مسكن ومأكل ومياه. حيث أشارت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، إلى أن ما لا يقل عن 40% من سكان قطاع غزة معرضون لخطر المجاعة، مما يعني أن سكان قطاع غزة يعانون من جوع كارثي، وهذا يشير إلى أن قطاع غزة يُعدُّ من أكثر المناطق مجاعة في العالم.[117]

وفي سياق متصل، أفادت إذاعة الجيش الإسرائيلي بأنّ تقديرات الجيش تشير إلى أن الحرب لن تنجح في القضاء كلياً على قدرات حركة حماس بإطلاق قذائف صاروخية باتجاه "إسرائيل". ونقلت الإذاعة المذكورة عن مسؤولين في الجيش أن تعميق القتال والعمليات البرية يسهم في

تقليص قدرات حماس والتنظيمات الأخرى، لكن لا ينهيها بشكل مطلق. ونقلت عن مسؤولين عسكريين أنّ قدرة الجيش على ضرب منصات إطلاق القذائف بعيدة المدى أفضل، لكن من الصعب خفض إطلاق القذائف قصيرة المدى على مناطق "غلاف غزة" إلى الصفر.[118]

وفي المقابل، وعلى الرغم مما ادَّعاه الاحتلال من إنجازات، لكنه تكبَّد خسائر كبيرة، من الأكبر في تاريخه، في تلك المواجهة؛ ووصفت بأنها غير مسبوقة، حيث اعترف الاحتلال بوقوع 242 أسيراً لدى حماس في 2023/10/7، منهم 137 ما يزالون محتجزين في قطاع غزة.

ومن أهم إنجازات "طوفان الأقصى" إعلان كتائب القسام، في أول يوم من العملية، أن "فرقة غزة" سقطت بكاملها. و"فرقة غزة" فرقة تعمل تحت إمرة المنطقة العسكرية الجنوبية في جيش الاحتلال، وهي من قوات النخبة ومقرها قاعدة "رعيم Re'im"، التي تبعد عن قطاع غزة 7 كم، وكانت قاعدة "رعيم" من أول الأهداف التي استهدفتها كتائب القسام. وتكمن مهمة "فرقة غزة" في حراسة الحدود المتاخمة لقطاع غزة، وإدارة عمليات الاغتيال، وتدمير الأنفاق التي تكتشفها في غلاف غزة، وتضمّ لواءين: شمالي وجنوبي.

وكشف نائب رئيس المكتب السياسي لحماس الشهيد صالح العاروري أن خطة "طوفان الأقصى" قامت على أساس اقتحام عناصر القسام غلاف غزة، ومهاجمة "فرقة غزة" المسؤولة عن حصار قطاع غزة، وعمليات الاغتيال، والقتل التي تنفذ بحقّ الفلسطينيين في القطاع. وبالرغم من أن الخطة كانت تتوقع "أن تستمر المعارك مع فرقة غزة لساعات طويلة، فإن مقاتلي القسام فوجئوا بانهيار الفرقة كاملة خلال ساعات قصيرة، وتمكنوا من الوصول بسهولة لمركز قيادتها وللمطار والكيبوتسات والمستوطنات القريبة"، بعد أن هرب من نجا من الجنود الإسرائيليين، في حين قتل وأسر الكثير منهم.[119]

وبعد ما يقرب من 3 أشهر على الأحداث، قرر رئيس أركان الجيش الإسرائيلي هرتسي هليفي Herzi Halevi تشكيل فريق أمني للبدء في إجراء تحقيق في إخفاقات أحداث 2023/10/7، بجوانبها الأمنية والعسكرية والاستخباراتية. ويضمّ الفريق عدداً من المسؤولين الأمنيين السابقين، من بينهم: وزير الدفاع السابق شاؤول موفاز Shaul Mofaz، الذي سيكون على رأس الفريق، والرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية أهارون زئيفي فركش Aharon Ze'evi–Farkash، والقائد السابق لقيادة الجيش الجنوبية سامي ترجمان Sami Turgeman، وسيتولى كل واحد من الثلاثة التحقيقات في مجاله.[120]

وذكرت صحيفة النيويورك تايمز The New York Times، في تحقيق لها، استند إلى وثائق حكومية إسرائيلية داخلية، ومراجعة لعشرات الآلاف من مقاطع الفيديو الموجودة في مخبأ عسكري إسرائيلي يعرف باسم "باندورا Pandora"، بما في ذلك لقطات من الكاميرات

التي كان يرتديها مقاتلو حماس ولقطات كاميرات المراقبة الإسرائيلية، ومقابلات مع عشرات الضباط والجنود وشهود العيان، أن الفشل العسكري الذي عانت منه "إسرائيل" وقت هجوم 2023/10/7، كان بسبب عدم وجود خطة للردّ على هجوم واسع النطاق لحماس، إلى جانب سلسلة من الأخطاء الاستخباراتية في الأشهر والسنوات التي سبقت الهجوم.[121]

وبلغ عدد قتلى الاحتلال، التي سُمح بنشرها، نحو 1,200 إسرائيلي، بالإضافة إلى إصابة ما يزيد عن 7,262 جريحاً، منهم 5 آلاف جندي، سيتمّ الاعتراف بـ 3 آلاف جندي كمعاقين. فقد اعترف الاحتلال بمقتل ما يزيد عن 181 من جنوده منذ بداية العملية العسكرية البرية في قطاع غزة في 2023/10/27، وإصابة 2,707 آخرين. إضافة إلى اعترافه بمقتل ما يزيد عن 1,200 قتيل في 2023/10/7، منهم 328 ضابطاً وجندياً في الجيش، و57 شرطياً، و10 من جهاز الشاباك، و845 ممن يسميهم "مدنيين"،[122] وإعلان وزارة الصحة الإسرائيلية، في 2023/10/22، ارتفاع عدد الجرحى إلى 5,431، معظمهم في 2023/10/7.[123] يضاف إليها 15 قتيلاً، ونحو 700 جريح، أُصيبوا نتيجة إطلاق فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة لنحو 12 ألف صاروخ على "المدن الإسرائيلية".[124]

وذكر الخبير بالشؤون الإسرائيلية مهند مصطفى أن معدل الضباط القتلى بصفوف الجيش الإسرائيلي هو الأعلى في تاريخ حروب تل أبيب،[125] وشكّل هؤلاء الضباط، في 2023/12/28، ما نسبته 23% من مجمل قتلى الجيش الإسرائيلي في الحرب على غزة، والتي سُمح بنشر أسمائهم، ومن بينهم 56 برتبة قائد فصيل، و43 برتبة قائد سرية، و8 برتبة قائد كتيبة، و5 برتبة قائد لواء.[126]

وأفادت هيئة البث الإسرائيلية بأن 29 من قتلى الجيش سقطوا "بنيران صديقة" وحوادث عملياتية منذ بدء الحرب البرية، في حين كشفت صحيفة الجيروزاليم بوست The Jerusalem Post عن مقتل 15 جندياً في القطاع دون العثور على جثثهم.[127] وكشف مدير مقبرة عسكرية إسرائيلية، في 2023/11/18، عن أن عدد قتلى الجيش الإسرائيلي في معارك قطاع غزة كبير، مؤكّداً أن 50 جندياً دفنوا في المقبرة التي يعمل فيها خلال يومَيْن فقط. وأكّد مدير مقبرة جبل هرتزل العسكرية Mount Herzl Military Cemetery ديفيد أورن باروخ David Oren Baruch، في مقطع فيديو نشرته وزارة الدفاع الإسرائيلية، أن المقبرة تستقبل عدداً كبيراً من القتلى بمعدل جنازة كل ساعة، أو كل ساعة ونصف الساعة.[128]

وتُشير التقارير الواردة من ميدان المعارك من فصائل المقاومة الفلسطينية، في نهاية سنة 2023، إلى قيام المقاومة بتدمير ما يزيد عن 896 من الآليات العسكرية جزئياً أو كلياً، منها دبابات وجرافات وناقلات جند منذ بداية التوغل البري. وحلَّل مركز معلومات فلسطين "مُعطى"

885 إعلاناً لكتائب القسام عن العمليات التي نفذها مجاهدوها في كافة محاور التوغل خلال المعركة البرية، منها 38 إعلاناً أكدت فيها الكتائب مقتل 278 ضابطاً وجندياً في استهدافاتها للقوات الراجلة، والوحدات الخاصة، وفرق النجدة، وكذلك 42 إعلاناً أكدت فيها الكتائب وقوع 299 ضابطاً وجندياً بين قتيل وجريح، و92 إعلاناً أكدت فيه الكتائب وقوع ضباط وجنود بين قتيل وجريح دون تحديد الأعداد، منها تضمّن عبارة، "عدد كبير"، أو بـ"العشرات"، أو "جميع أفراد القوة"، أو "سقوطهم جميعاً"، أو "الإجهاز على من تبقى". ويضاف إلى ذلك الآليات التي تمّ تدميرها كلياً أو جزئياً، ولم يتمّ التطرق إلى مصير طواقمها.[129]

ولتأكيد اختلاف الأرقام التي يعلنها جيش الاحتلال والأرقام التي تُقدِّرها فصائل المقاومة الفلسطينية، كشفت صحيفة هآرتس أن ثمة فجوة كبيرة بين عدد الجنود الجرحى الذي أعلنه الجيش الإسرائيلي، وما تُظهره سجلات المستشفيات. وأشارت الصحيفة الإسرائيلية إلى أن العدد الذي أعلن عنه الجيش حتى 2023/12/10، هو 1,593 جريح منذ بدء العمليات العسكرية في قطاع غزة، بينما تظهر القوائم الجزئية التي أعلنت عنها المستشفيات أنها استقبلت 4,591 جريحاً خلال الفترة نفسها. وتزامن ذلك مع ما كشفته يديعوت أحرونوت من أن عدد الجرحى من الجنود بلغ 5 آلاف جريح، وأكثر من ألفيْن اعترف رسمياً بأنهم أصبحوا معاقين، وذلك قبل أن تسحب هذه الصحيفة الإسرائيلية تقريرها، وتقلِّل العدد إلى ألفيْن فقط عوضاً عن 5 آلاف. وإعلان مستشفى سوروكا Soroka الإسرائيلي في بئر السبع أنه استقبل 2,034 جندياً مصاباً، بدرجات متفاوتة الخطورة منذ بداية الحرب البرية في 2023/10/27.[130]

ووجّه منتدى مديري مراكز الصحة النفسية The Mental Health Center Directors' Forum الإسرائيلي رسالة إلى السلطة المختصة قال فيها "نتوجه إليكم يائسين بشأن الوضع الصعب لنظام الصحة العقلية في إسرائيل"، مشيرة إلى الطلب المتزايد على الأطباء النفسيين منذ اندلاع حرب غزة، وذكرت أن "أحداث 7 أكتوبر أدت إلى ما يقدر بنحو 300 ألف مريض إضافي يحتاجون إلى العلاج"، محذرة من أن عواقب الحرب على الصحة العقلية مثيرة للقلق.[131] فيما ذكرت مصادر في الجيش الإسرائيلي أن نحو 1,600 جندي عانوا من أعراض التوتر والخوف وصدمة المعركة منذ بداية الحرب. وبحسب المصادر فإن معظم الجنود جاءوا للعلاج بعد أربعة أسابيع من 7 تشرين الأول/ أكتوبر، الذي سبق بداية المناورة البرية في قطاع غزة، واتصل نحو 3 آلاف جندي بخط المساعدة للصحة النفسية التابع للجيش الإسرائيلي، وتمّ تسريح 90 جندياً من الخدمة بسبب صعوباتٍ عقلية.[132]

وتكبّد الاقتصاد الإسرائيلي خسائر كبيرة تمت الإشارة إليها في الفصل الخامس من هذا التقرير.

6. الضفة الغربية في أثناء طوفان الأقصى:

كما أشرنا سابقاً، فقد شهدت الضفة الغربية خلال سنتي 2023–2022 تصعيداً غير مسبوق، منذ سنوات عديدة، للعمل المقاوم. وقد خشي الاحتلال الإسرائيلي من انتفاضة الضفة تجاوباً مع طوفان الأقصى، لا سيّما أنّ جُلّ الأسباب متوفرة، فمعظم الأسرى من أبناء الضفة، والمسجد الأقصى ومدينة القدس جغرافياً في نطاق الضفة، وهاتان القضيتان هما الدافعان الرئيسيان لـ"طوفان الأقصى". ثم إنّ انخراط الضَّفة في "طوفان الأقصى"؛ سيكون ربما، أكثر إيلاماً للاحتلال، حيث التداخل بين البلدات الفلسطينية والمستعمرات، إضافةً إلى الإمكانيّة النسبية للدخول إلى الأراضي المحتلة سنة 1948؛ لذلك سارع الاحتلال فور "طوفان الأقصى" إلى إغلاق شامل للضفة، وعزل المدن عن بعضِها بحواجزَ عسكرية، وأطلق العنان لميليشيات المستوطنين لإثارة الرعب في مناطق التّماس.[133] كما قامت السلطة الفلسطينية في رام الله بمحاولة قمع أي مظاهر للتصعيد والعمل الانتفاضي، وأغلقت الجامعات، وتابعت تنسيقها الأمني مع الاحتلال.

قدمت الضفَّة الغربية مع نهاية سنة 2023 لمعركة "طوفان الأقصى" 319 شهيداً، بينهم 74 طفلاً، وخمسة مسنين، وتسعة أسرى، وما زال الاحتلال يحتجز جثامين 34 منهم، وإصابة 3,822 جريحاً، وتمّ اعتقال 4,876 أسيراً،[134] وشهدت الضفة، بما فيها شرقي القدس، خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من سنة 2023، بعد بداية "طوفان الأقصى"، سلسلة من الأحداث البارزة التي أظهرت إرادة الشعب الفلسطيني في مواصلة المقاومة والتصدي للاحتلال الإسرائيلي والدفاع عن حقوقه المشروعة. إذ وثّق مركز معلومات فلسطين "مُعطى" 4,438 عملاً مقاوماً، بينها 1,360 عملية مؤثرة (مسلحة). وتوزعت أعمال المقاومة النوعية والشعبية في مختلف مناطق الضفة، وأسفرت في مجملها عن مقتل 8 إسرائيليين، وإصابة أكثر من 122 آخرين. وتعكس هذه الأرقام حالة الإصرار والتحدي التي تزخر بها الضفة، وتغلّبها على محاولات الاحتلال الرامية لتحييدها عن مشهد المقاومة والإسناد لقطاع غزة.[135]

وطوال معركة طوفان الأقصى كانت تحدث في كل يوم عمليات إطلاق النار تجاه المستعمرات والحواجز العسكرية، يضاف إليها مواجهاتٌ شعبية، لا سيّما في مناطق التماس، ومظاهرات في مراكز المدن، فيما تتصاعد حالة الغليان يوماً بعد يوم وِفق تطور الأحداث. ومما لا شكَّ فيه أن المِزاج العام في الضفة داعمٌ للمقاومة، وفي حالة غليان كبيرة، إضافة إلى وجود بؤر مشتعلة، لا سيّما في جنين، ونابلس، وطولكرم، وأريحا.[136]

7. لبنان:

منذ بداية عملية "طوفان الأقصى"، اتجهت الأنظار نحو حزب الله في جنوب لبنان، وموقفه من الانخراط في المواجهة، حيث تُمثِّل درجة مشاركته عاملاً مهماً في مسار المعركة، حيث بدأ الحزب

من صباح اليوم الثاني من المعركة باستهداف منطقة مزارع شبعا اللبنانية المحتلة، وأعلنت "مجموعات عماد مغنية في المقاومة الإسلامية"، التابعة لحزب الله اللبناني، في 2023/10/8، عن قيامها بـ"قصف ثلاثة مواقع للاحتلال الصهيوني في منطقة مزارع شبعا اللبنانية المحتلة بأعداد كبيرة من قذائف المدفعية والصواريخ الموجّهة، وتمّت إصابة المواقع إصابات مباشرة"، وفق بيان للمقاومة. وجاء ذلك قبل أن يتبعها موقف سياسي أعلنه رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله هاشم صفي الدين حاسماً "أن المقاومة في لبنان ليست على الحياد في المعركة القائمة بين المقاومة الفلسطينية وقوات الاحتلال".[137]

وبعد ذلك تصاعدت حدّة الهجمات المتبادلة بين حزب الله وجيش الاحتلال على طول الحدود اللبنانية الجنوبية مع فلسطين المحتلة، هي الأعنف منذ سنة 2006، حيث توسعت لتشمل أماكن عميقة داخل الأراضي اللبنانية، في خرق واضح للقرار الدولي 1701. وأثارت هذه العمليات العسكرية التساؤلات عن اندلاع جبهة ثانية... وقد اتفق الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله مع نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس صالح العاروري، والأمين العام لحركة الجهاد في فلسطين زياد النخالة، على "مواصلة التنسيق والمتابعة الدائمة للتطورات بشكل يومي ودائم" في الحرب المتواصلة منذ 2023/10/7.[138] وفي خطابه الأول منذ "طوفان الأقصى"، قال نصر الله، في 2023/11/3، إن حرب غزة امتدت إلى أكثر من ساحة، مشدِّداً على أنها معركة كاملة الشرعية إنسانياً وأخلاقياً. وأكّد أن على "إسرائيل" أن تقلق من توسع الحرب والتصعيد، وأن حزب الله نجح في تخفيف الضغط على جبهة غزة عبر إرغام الجيش الإسرائيلي على نقل قسم كبير من قواته البرية والجوية والبحرية إلى الجبهة الشمالية.[139]

وأعلن حزب الله اللبناني عن استشهاد 147 من عناصره في مواجهات مع الجيش الإسرائيلي عند الحدود، حتى تاريخ 2024/1/4.[140] واعترف الجيش الإسرائيلي بمقتل تسعة من جنوده في هجمات تبناها كلّ من حزب الله والمقاومة الإسلامية الفلسطينية على الحدود مع لبنان منذ بدء القتال.[141]

وذكر نصر الله أن "المقاومة الإسلامية نفّذت ما يزيد عن 670 عمليةً خلال 3 أشهر، كما تمّ استهداف 48 موقعاً حدودياً أكثر من مرة"، منذ 2023/10/8. وأكد، في كلمة له في 2024/1/5، أن "المقاومة الإسلامية نفّذت 494 استهدافاً، بينها 50 نقطةً حدوديةً استهدفت أكثر من مرة"، مشيراً إلى أن "المقاومة الإسلامية استهدفت أيضاً التجهيزات الفنية والاستخبارية على طول الحدود وتم تدميرها بالكامل". وأعلن نصر الله أنه "تمّ تدمير عدد كبير من الآليات والدبابات على طول الحدود"، وأن "العمليات كانت مُستنزفة جداً للعدو الذي مارس تكتماً شديداً على خسائره الكبيرة".[142]

وفي السياق نفسه، أعلنت قوات الفجر، الجناح العسكري للجماعة الإسلامية في لبنان، مشاركتها في مساندة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وأعلنت عن توجيه ضربات صاروخية لمواقع الاحتلال الصهيوني شمال فلسطين المحتلة عدة مرات، مشيرة إلى أنها حقّقت فيها إصابات مباشرة. وأكّدت أن "صلياتنا الصاروخية ستستمر وتزداد كلّما أمعن العدو الصهيوني وتمادى في عدوانه على أهلنا في جنوب لبنان وقطاع غزة"، وأكّدت أيضاً "أننا قادرون على توسيع دائرة ردّنا لثنيه عن عدوانه".[143] وأكّد الأمين العام للجماعة الإسلامية اللبنانية الشيخ محمد طقوش، في حوار مع صحيفة الأخبار، أن عدد العمليّات التي نفّذتها قوات الفجر، الجناح العسكري للجماعة الإسلامية، ضدّ العدو الإسرائيلي بعد سنوات من الانقطاع، كان "أكبر من المُعلَن"، مشيراً إلى أن "الجماعة" في طوْر إنشاء إطار مخصّص للراغبين بالانضمام إلى الجهاد. ورأى أن ما يفعله حزب الله وباقي الفصائل اللبنانية والفلسطينية على الجبهة الجنوبية لديه جدوى في إشغال العدو وإسناد أهل غزّة.[144]

وعلى صعيد الفصائل الفلسطينية في لبنان، فقد شاركت الأجنحة العسكرية لحركتي حماس والجهاد الإسلامي في العمليات العسكرية من لبنان، حيث اقتحمت مواقع صهيونية، وأطلقت رشقات صاروخية تجاه المدن المحتلة في فلسطين.

فمنذ 2023/10/7، صعّدت حماس في لبنان من تحركاتها الميدانية على جبهة الجنوب اللبناني، وصولاً للإعلان عن تشكيلها لـ"طلائع طوفان الأقصى" في 2023/12/4. وإلى جانب حزب الله، كان اسم "كتائب القسام في لبنان" الأبرز من ضمن الأطراف التي أطلقت سلسلة عملياتها مستهدفة مواقع الاحتلال الإسرائيلي ومستعمراته على طول الحدود مع لبنان، مما سلّط الضوء على دور حماس في لبنان، الذي شهد تصاعداً ملحوظاً في السنوات الأخيرة. فقد تبنت كتائب القسام في لبنان إطلاق صواريخ تجاه الأراضي الفلسطينية المحتلة في عدة مناسبات، قال رئيس دائرة العلاقات الوطنية لحركة حماس في الخارج علي بركة، إنها "رسالة رمزية تحمل عنوان التضامن مع الشعب الفلسطيني، ورسالة للعدو الصهيوني بأننا لن نسمح بالاستفراد بالمقاومة في غزة".[145]

فقد أعلنت كتائب القسام في لبنان تنفيذ قصف صاروخي مركّز، بمئات الصواريخ، وعلى دفعات؛ على مدن الجليل ومستعمراته من جنوب لبنان، ضمن عملية "طوفان الأقصى". وقالت الكتائب، في بيان عسكري، إنها "خطوة على طريق التحرير والعودة" و"انتصار للقدس والمسجد الأقصى المبارك"، وردّ على المجازر بحقّ المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة.[146]

كذلك أعلنت حركة حماس وكتائب القسام استشهاد 11 من أعضائها؛ حيث أعلنت القسام، في 2023/10/14، استشهاد ثلاثة من أعضائها من المخيمات الفلسطينية في لبنان، هم أحمد عثمان، ويحيى عبد الرازق، وصهيب كايد، ارتقوا خلال عملية ضدّ قوات الاحتلال الإسرائيلي شمال فلسطين، بعدما تمكنت هذه المجموعة من النفاذ نحو فلسطين المحتلة، والاشتباك مع جيش العدو الصهيوني.[147] كذلك أعلنت كتائب القسام، في 2023/11/21، استشهاد "القائد القسامي، خليل حامد خرازِ (أبو خالد)، الذي اغتالته يد الغدر الصهيوني على مشارف فلسطين المحتلة في الجنوب اللبناني"، مع أربعة شبان، في غارة صهيونية.[148]

وفي 2024/1/2، اغتال الاحتلال نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الشهيد صالح العاروري، مع 6 من رفاقه، في غارة جوية على ضاحية بيروت الجنوبية، وقال رئيس المكتب السياسي لحماس إسماعيل هنية إن اغتيال العاروري هو "عمل إرهابي مكتمل الأركان وانتهاك لسيادة لبنان"، معلناً أن الاحتلال اغتال القياديين في كتائب القسام، سمير فندي وعزام الأقرع، و4 آخرين من كوادر وأبناء حماس هم: محمود شاهين، ومحمد بشاشة، ومحمد الريس، وأحمد حمود.[149]

وفي السياق نفسه، أعلنت حركة الجهاد الإسلامي استشهاد 7 من مجاهديها، على الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة، وذكرت الحركة، و"ضمن معركة طوفان الأقصى المستمرة"، أن مجموعة من مقاتليها في سرايا القدس تمكنت، في 2023/10/9، من اقتحام أحد مواقع الاحتلال شمال فلسطين المحتلة، ونفذت اشتباكاً مسلحاً من نقطة صفر، ما أسفر عن مقتل ضابطين صهيونيين، أحدهما نائب قائد اللواء 300 في جيش الاحتلال، وإصابة خمسة من الجنود بجراح مختلفة. وقد ارتقى، خلال العملية اثنان من مجاهدي سرايا القدس، هما: حمزة موسى، ورياض قبلاوي.[150] وفي 2023/10/21، أعلنت السرايا استشهاد محمد موسى، في جنوب لبنان، في أثناء قيامه بواجبه الجهادي نصرة لغزة.[151] كذلك أعلنت استشهاد إبراهيم عثمان ومصطفى حسين، خلال اشتباك مسلح قرب الحدود اللبنانية، في 2023/10/30، في أثناء تنفيذهما عملية اختراق للسياج الأمني الإسرائيلي في موقع حانيتا العسكري.[152] وفي 2023/12/29، أعلنت استشهاد أحمد جبريل ومحمد الفريج، على حدود فلسطين المحتلة في جنوب لبنان، ضمن "طوفان الأقصى"، في أثناء أدائهما واجبهما الجهادي.[153]

8. اليمن:

في 2023/10/31، أي في اليوم الـ 25 من العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، أعلن اليمن، وعلى لسان حكومة تصريف الأعمال التابعة لحركة أنصار الله "الحوثيين"، بشكل رسمي، دخول القوات اليمنية في عملية "طوفان الأقصى"، بعد الإعلان عن استهداف مواقع إسرائيلية في فلسطين المحتلة، بالصواريخ والمسيّرات؛ من خلال عمليتيْن، "نصرة لإخواننا المظلومين

في فلسطين، وأن القوات اليمنية مستمرة في تنفيذ المزيد من الضربات النوعية بالصواريخ والطائرات المسيرّة حتى يتوقف العدوان الإسرائيلي".[154]

وكان زعيم حركة أنصار الله اليمنية عبد الملك بدر الدين الحوثي قد أكد، في الأيام الأولى لطوفان الأقصى، على أن هناك تنسيقاً بين "محور الجهاد والمقاومة"، وأن "التنسيق فيه مستويات معينة للأحداث وخطوط حمر، من ضمنها إذا تدخل الأمريكي بشكل مباشر، نحن مستعدون للمشاركة بالقصف الصاروخي والمسيّرات والخيارات العسكرية".[155] كذلك هدّد رئيس حكومة "تصريف الأعمال" التابعة لحركة أنصار الله في اليمن، عبد العزيز صالح بن حبتور، باستهداف سفن الاحتلال الإسرائيلي في البحر الأحمر.[156]

بعد ذلك تعددت العمليات العسكرية التي نفّذها الحوثيون من اليمن، مما استدعى تفعيل منظومة الاعتراض الإسرائيلية جنوبي فلسطين المحتلة،[157] حتى وصل الأمر إلى اعتراض السفن المتجهة للكيان الصهيوني. ففي 2023/11/14 أعلنت جماعة أنصار الله بدء مرحلة جديدة من استهداف الاحتلال الإسرائيلي، والمتمثلة بـ"اتخاذِ كافة الإجراءات العملية لتنفيذ التوجيهات الصادرة بشأن التعامل المناسب مع أيّ سفينة إسرائيلية في البحر الأحمر"، حتى تتوقف الحرب على غزة. وأعلنت الجماعة على أنها ستقوم باستهداف جميع أنواع السفن التي تحمل علم الكيان الصهيوني، والتي تقوم بتشغيلها شركات إسرائيلية، والتي تعود ملكيتها لشركات إسرائيلية، داعيةً جميع دول العالم إلى "سحب مواطنيها العاملين ضمن طواقم هذه السفن، وتجنب الشحن على متن هذه السفن أو التعامل معها، إضافة إلى إبلاغ سفنهم بالابتعاد عن هذه السفن".[158]

وبالفعل، اقتادت حركة أنصار الله، في 2023/11/19، سفينة إسرائيلية لشواطئ اليمن.[159] بعد ذلك تعددت العمليات ضدّ هذه السفن، وقال قائد البحرية الأمريكية بالشرق الأوسط الأميرال براد كوبر Brad Cooper، في 2024/1/4، إن الحوثيين نفذوا 25 هجوماً في البحر الأحمر، منذ ذلك التاريخ. وتسبّبت هجمات الحوثيين في تعطيل حركة الشحن الدولي، ودفع بعض الشركات إلى تعليق عمليات العبور من البحر الأحمر، وتغييرها إلى رحلات أطول وأكثر كلفة حول إفريقيا.[160]

وقد أدّت هجمات الحوثيين المتكررة إلى زيادة الضغط على الرئيس الأمريكي للردّ عسكرياً، حيث أطلقت الولايات المتحدة وبريطانيا ودول أخرى، في 2023/12/18، عملية "حارس الازدهار Prosperity Guard" لحماية السفن التي يستهدفها الحوثيون في البحر الأحمر.[161] وقد استشهد عشرة يمنيين، وأُصيب اثنان آخران، في 2023/12/31، جراء قصف أمريكي استهدف زوارق هاجمت سفينة حاويات في جنوب البحر الأحمر.[162]

9. سورية والعراق:

توالت الهجمات بالصواريخ والطائرات المسيّرة على أهداف أمريكية في كل من العراق وسورية، بعد عملية "طوفان الأقصى"، والعدوان الصهيوني المستمر على قطاع غزة؛ وتأتي هذه الهجمات بعدما هددت فصائل عراقية باستهداف مصالح الولايات المتحدة في العراق على خلفية الدعم الأمريكي لـ"إسرائيل" في حربها على قطاع غزة. ووسّعت الفصائل العراقية، تحت مسمى "المقاومة الإسلامية في العراق"، وهو تجمع تمّ الإعلان عنه والكشف عن مهمته بعد "طوفان الأقصى"، من دائرة استهدافها، إذ تبنّت استهداف أهداف حيوية جنوبيّ فلسطين المحتلة (إيلات)، واستهدفت، أيضاً، منصة حقل كاريش Karish الإسرائيلي للغاز،[163] و"هدفاً حيوياً" في مدينة حيفا بواسطة صاروخ "الأرقب" (كروز Cruise مطور) بعيد المدى،[164] وأطلقت صواريخ تجاه الجولان السوري المحتل، مؤكدة أن الهجمات أصابت أهدافها بصورة مباشرة.

وقد شكّلت هذه العمليات ضغطاً على الإدارة الأمريكية، مع الاحتمال المتزايد للخسائر في صفوف الجنود الأمريكيين؛ ففي الفترة 2023/12/31–10/17 تعرّضت القوات الأمريكية لما لا يقل عن 128 هجوماً في سورية والعراق، واستهدفت "المقاومة الإسلامية في العراق" وغيرها عدة قواعد أمريكية، بالصواريخ أو بالطيران المسيّر، من بينها: عين الأسد، وخراب الجير، والشدادي، وحرير، والتنف، والرميلان، والمالكية، ومحيط حقليْ كونيكو والعمر، إضافة إلى القوات الأمريكية قرب مطار أربيل وفي القرية الخضراء.[165] ورداً على ذلك، تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتنفيذ ضربات عدة على تلك الفصائل.

10. أنفاق قطاع غزة:

تُعدّ الأنفاق في قطاع غزة عنصراً مهماً جداً من ناحية الحرب البرية، وقد حوّلت المدافع إلى مهاجم والمهاجم إلى مدافع لأنه دخل بدباباته ولم يرَ أمامه مقاوماً أو خط مواجهة للمقاومة، مما سمح للمقاومة أن تمتلك زمام المبادرة. وبهذا لعبت الأنفاق دوراً عطّل إلى حدٍّ بعيدٍ التفوق الصهيوني بالدبابات والطائرات والمسيّرات. وقد شكلت الأنفاق في قطاع غزة دوراً محورياً في صمود المقاومة، في الحروب المتتالية السابقة التي شنّها الاحتلال على القطاع، حيث خرجت المقاومة في كل مرة بأقل الخسائر في صفوفها؛ وتمكّنت في عملية "طوفان الأقصى" والحرب الإسرائيلية التي تلتها من الحفاظ على قدرتها العسكرية، ومفاجأة جيش الاحتلال الإسرائيلي، موقعة فيه خسائر كبيرة.

وذلك على الرغم من بناء "جدار غزة" الحديدي، الذي يمتد فوق الأرض وتحتها بطول 65 كم، ليغطي الحدود البرية والبحرية للقطاع، ويرتفع نحو 6 أمتار فوق الأرض وعدداً سرياً

من الأمتار تحت الأرض، بالإضافة إلى مئات الكاميرات وعشرات الرادارات التي نُصبت فوقه. وقد قال عنه وزير الدفاع الإسرائيلي بني جانتس أنه "مشروع تكنولوجي وعملاني، ذو أهمية عليا، يسلب حماس إحدى قدراتها التي حاولت تطويرها، ويضع جداراً حديدياً، مجسات وإسمنتاً، بينها وبين سكان الجنوب".[166]

ويُقدّر أنه توجد ثلاثة أنواع رئيسية من الأنفاق المستخدمة في قطاع غزة، هي:[167]

أ. **الأنفاق الهجومية:** تستخدم هذه الأنفاق لاختراق الحدود وتنفيذ هجمات خلف خطوط قوات الاحتلال الإسرائيلي. وتُستخدم أيضاً مرابض لراجمات الصواريخ ومدافع الهاون...

ب. **الأنفاق الدفاعية:** تستخدم هذه الأنفاق داخل الأراضي الفلسطينية لإقامة الكمائن ونقل المقاتلين بعيداً عن الرؤية الجوية للطائرات الإسرائيلية والغارات...

ج. **الأنفاق اللوجيستية:** تستخدم هذه الأنفاق مراكز قيادة وسيطرة لإدارة العمليات وتوجيه المقاتلين. يجري استخدامها لإقامة القادة الميدانيين وتخزين الذخائر والعتاد العسكري وتجميع القوات. تحتوي هذه الأنفاق على غرف اتصالات داخلية لتسهيل التواصل بين أفراد المقاومة.

وأخفق الجيش الإسرائيلي في الكشف عن الأنفاق الهجومية التي حفرتها حماس باتجاه مستعمرات "غلاف غزة" ضمن التحضيرات لعملية "طوفان الأقصى". وأعلن جيش الاحتلال في 2023/12/17، عن اكتشاف نفق شمالي قطاع غزة، بطول 4 كم قبالة مستعمرات الغلاف، وروّج له على أنه إنجاز، بالرغم من أن اكتشافه جاء بعد نحو 60 يوماً من التوغل البري للقوات الإسرائيلية في المنطقة.

وبحسب أحد الخبراء العسكريين، فإنّ هناك نحو 1,300 نفق في قطاع غزة، وأن ما كشفه الاحتلال بعد أكثر من شهرين من العدوان لا قيمة كبيرة له.[168]

وتكشّفت ملامح "إخفاق النفق" من خلال تحقيق نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت، في 2023/12/24، وأعده الصحفي الاستقصائي والمختص في الشؤون العسكرية والاستخباراتية رونين بيرجمان Ronen Bergman، وتبلورت عندما أعلنت كتائب القسام أن الحديث يدور عن نفق هجومي تمّ تحضيره واستخدامه في اقتحام "طوفان الأقصى". واستعرض بيرجمان الإخفاق في الكشف عن الأنفاق الهجومية باتجاه "غلاف غزة" التي واصلت حركة حماس حفرها في آذار/ مارس 2023، ضمن التحضيرات للهجوم المفاجئ، بدون أن تكتشف مختلف الأجهزة الأمنية الإسرائيلية الحفريات. وشدّد بيرجمان على أن الجيش الإسرائيلي لم يكن مستعداً بما فيه الكفاية لعملية كشف الأنفاق وتدميرها.[169]

وعندما بدأت الحملة البرية في 2023/10/27، كان هناك تقديران لدى معظم الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، الأول أنه لدى حماس 100–200 كم من الأنفاق تحت غزة، والثاني أنه مع نهاية سنة 2020، لم يكن لديها أي نفق هجومي باتجاه مستعمرات "غلاف غزة". وبحسب الصحيفة، فإنه تمّ تفريغ التقديرات الإسرائيلية بخصوص شبكة الأنفاق من مضمونها، فمن الأيام الأولى للحرب تمّ اكتشاف ما خططت حماس لفعله في نفق قرب معبر بيت حانون/ إيرز.[170]

وفيما يتعلق بالتقدير الإسرائيلي الأول بشأن طول شبكة الأنفاق، فقد تبيّن من خلال تحقيق الصحيفة أنه "لم يكن ناجحاً"، ويُقدّر الجيش الإسرائيلي أنه لدى حماس 500–600 كم من الأنفاق تحت غزة. ولم يكن الإخفاق في تقييم شبكة الأنفاق من حيث الطول فحسب، بل أيضاً من حيث العرض، والعمق، وقوة التحصينات، ومقدار خطوطها المتعرجة، والتغييرات المفاجئة في الاتجاهات بمسارها، وكمية احتياطي الوقود والغذاء والمياه المخزنة فيها، وبالتالي طول الفترة الزمنية التي يمكن لمسلحي حماس أن يقضوها فيها. وأضاف التحقيق أن الجيش الإسرائيلي أقرّ بمدى صعوبة اكتشاف الأنفاق وتفجيرها، بدون تعريض جنوده للخطر، وضمان تدميرها دون انهيار أحياء سكنية بأكملها. ويخطط الجيش الإسرائيلي إلى وضع خطة عمل لمدة تصل إلى عامَيْن "لتفكيك الأنفاق"، ويقول بيرجمان "لكن الخطة صيغت بشكل ضبابي وغامض، خصوصاً بكل ما يتعلق بتعميق السيطرة الإسرائيلية بالقطاع، وهو ما لن يتحقق بسبب المعارك والضغوطات الدولية، ما سيدفع الجيش للانسحاب إلى السياج الأمني، وبالتالي عدم إنجاز الخطة".[171]

إنّ متابعة الحرب البرية تكشف كم كانت قيادة المقاومة التي أطلقت طوفان الأقصى جاهزة ومستعدة في توقع الهجوم البري (عدا الإبادة والتدمير الذين لا يمكن تَوقُّعهما مطلقاً، وليس لهما مثيل طوال وجود الكيان الصهيوني منذ 75 عاماً)، من خلال الجهد الذي تمّ في تهيئة الأنفاق تهيئة دقيقة، وأن مرور ستة أشهر على الحرب، والمقاومة مستمرة قد هيأت ما تحتاج إليه من عُدّة وعتاد، يشير إلى ما بذلته المقاومة من شهداء ومال وهندسة وسنوات عمل؛ ويدلّ على المستوى المتقدّم الذي تتمتع به قيادة المقاومة في غزة.

خامساً: الشهداء والجرحى

استشهد في سنة 2022 ما مجموعهُ 224 فلسطينياً (انظر جدول 4/4)، بينهم 53 شهيداً في قطاع غزة، و171 شهيداً في الضفة الغربية. وبيّنت وزارة الصحة الفلسطينية، في تقريرها السنوي، أن 53 طفلاً شهيداً كانوا من بين مجموع الشهداء،[172] بينما، استشهد في سنة 2023 ما مجموعه 22,404 فلسطينيين، بينهم 22,141 شهيداً منذ 2023/10/7 وحتى نهاية السنة نفسها، 98% بينهم في قطاع غزة (21,822 شهيداً)، بينهم نحو 9 آلاف طفل و6,450 امرأة، في حين بلغ عدد

الشهداء في الضفة الغربية 319 شهيداً منذ 2023/10/7، بينهم 111 طفلاً و4 نساء. في حين بلغ عدد المفقودين الذين تمّ التبليغ عنهم في قطاع غزة أكثر من 7 آلاف مفقودٍ، بينهم 67% من الأطفال والنساء.[173] وجُرح 10,500 فلسطيني في سنة 2022،[174] بينما جُرح أكثر من 60,273 فلسطينياً في سنة 2023 (56,451 في قطاع غزة، و3,822 في الضفة الغربية).[175]

وفي المقابل سجَّل جهاز الشاباك مقتل 31 إسرائيلياً في سنة 2022، بينما سجَّل الجهاز نفسه مقتل 43 إسرائيلياً[176] (ما عدا ما تمّ تسجيله خلال "طوفان الأقصى"، والتي تشير إلى مقتل نحو 1,400 إسرائيلي)،[177] خلال سنة 2023 نتيجة عمليات نفذها فلسطينيون. وجُرح 281 إسرائيلياً في سنة 2022، وذلك مقابل 181 إسرائيلياً[178] (ما عدا ما تمّ تسجيله خلال "طوفان الأقصى"، والتي تشير إلى إصابة ما يزيد عن 7,262 جريحاً)،[179] في سنة 2023 (انظر جدول 4/4).

جدول 4/4: القتلى والجرحى الفلسطينيون والإسرائيليون في الضفة الغربية وقطاع غزة 2019–2023[180]

السنة	القتلى		الجرحى	
	الفلسطينيون	الإسرائيليون	الفلسطينيون	الإسرائيليون
2019	149	9	15,287	65
2020	48	3	2,614	46
2021	365	18	17,042	190
2022	224	31	10,500	281
2023	*22,404	**1,443	60,273	**7,443

* بالإضافة إلى أكثر من 7 آلاف مفقود.

** ما سمح الإسرائيليون بنشره حتى إعداد التقرير.

القتلى الفلسطينيون والإسرائيليون في الضفة الغربية وقطاع غزة 2019–2023

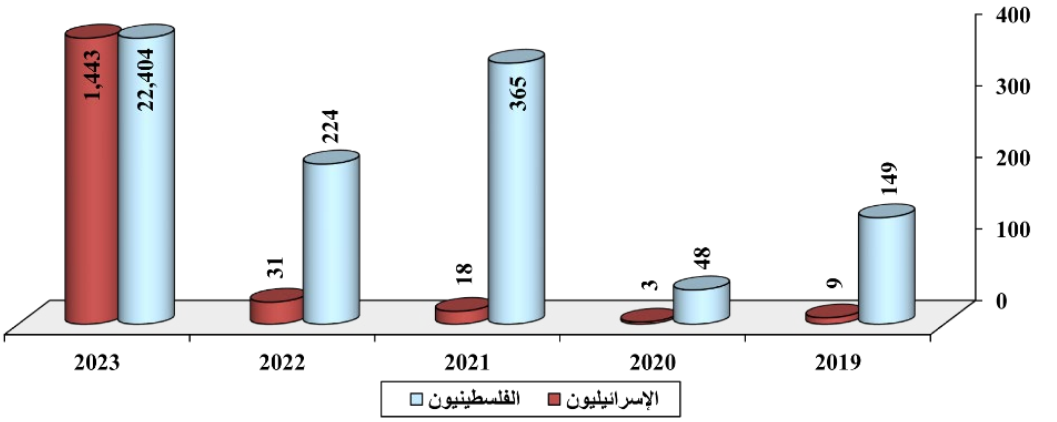

الجرحى الفلسطينيون والإسرائيليون في الضفة الغربية وقطاع غزة 2019–2023

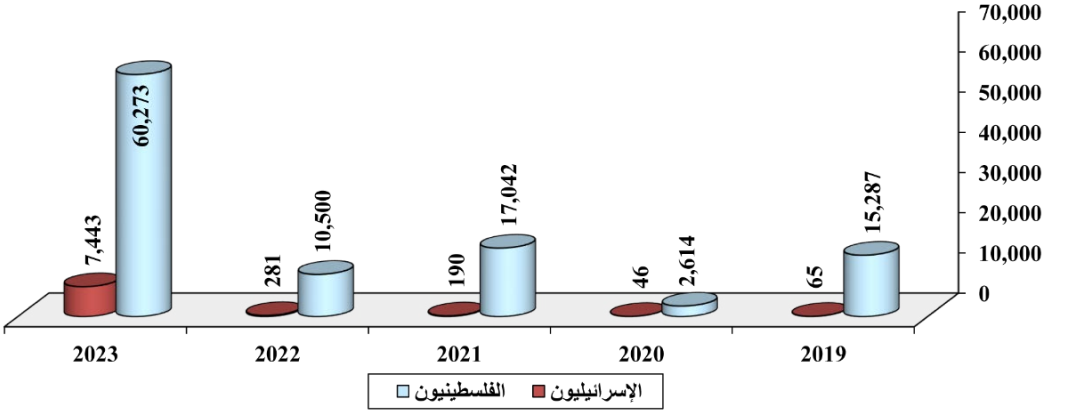

سادساً: الأسرى والمعتقلون

شهدت سنتا 2022 و2023 العديد من التّحولات على صعيد واقع عمليات الاعتقال التي نفّذتها قوات الاحتلال الإسرائيلي، والتي ارتبطت بشكلٍ أساس بتصاعد حالة المقاومة ضدّ الاحتلال، ولطالما شكّلت عمليات الاعتقال المنهجة سياسة ثابتة اتخذ منها الاحتلال الأداة الأبرز في محاولته لتقويض المقاومة التي يمكن أن تسهم في تحقيق تقرير المصير، والحرية للشعب الفلسطيني.

في 2022/12/12 بلغ عدد الأسرى في سجون الاحتلال نحو 4,700 أسيرٍ، بينهم 34 أسيرة، و150 طفلاً، وخمسة أعضاء في المجلس التشريعي الفلسطيني. وبلغ عدد أسرى الضفة الغربية 4,400 أسيرٍ، منهم 400 من شرقي القدس، وبلغ عدد أسرى قطاع غزة 200 أسيرٍ، فيما بلغ عدد أسرى فلسطينيي 1948 ما مجمله 100 أسير، بالإضافة إلى عشرات المعتقلين العرب من جنسيات مختلفة. ومن بين الأسرى 835 صُنفوا على أنهم معتقلون إداريون (انظر جدول 4/5).

وقد وصل عدد الأسرى في سجون الاحتلال إلى 8,800 أسيرٍ في نهاية كانون الأول/ ديسمبر 2023، وهذه الإحصائية لا تشمل معتقلي قطاع غزة بعد 2023/10/7، فيما لم تتوفر حصيلة دقيقة للفئات من الأطفال، والنساء (62 أسيرة في سجن الدامون فقط)، والمسنين في السجون. وبلغ عدد المعتقلين الإداريين 3,291، وعدد من صنفهم الاحتلال بالمقاتلين غير الشرعيين 661، وتعني هذه الحصيلة أنّ عدد إجمالي الأسرى زاد بـ 3,550 أسيراً عن عدد الأسرى في السجون قبل 2023/10/7، وزاد عدد الإداريين بـ 1,971 معتقلاً. (انظر جدول 4/5).

ورصدت مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان تزايد حالات الاعتقال في سنة 2023 بشكل كبير، فقد شهدت قضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين تحولات كبيرة لم

تشهدها منذ سنوات الانتفاضات والهبّات الشعبيّة التي شهدها الفلسطينيون، وارتبط هذا التحوّل مع مطلع السنة باعتلاء الحكومة الأكثر تطرفاً في تاريخ دولة الاحتلال سدة الحكم، وكان تاريخ ما بعد 2023/10/7 التّحول الأهم والأكبر على صعيد قضية الأسرى، وما تلاه من عدوان شامل ومتواصل على الشعب الفلسطيني، وإبادة جماعية يواصل الاحتلال الإسرائيلي تنفيذها في قطاع غزة.

وذكرت مؤسسة الضمير أن حالات الاعتقال التي نفّذها جيش الاحتلال الإسرائيلي خلال سنة 2023 في الضفة، بما فيها شرقي القدس، إضافة إلى حالات الاعتقال من غزة قبل 2023/10/7، بلغت نحو 11 ألف حالة اعتقال، بينهم 1,085 طفلاً، و300 امرأة وفتاة؛[181] بالإضافة إلى أكثر من 2,600 حالة اعتقال في قطاع غزة بعد 2023/10/7،[182] وهي تشكل زيادة بنحو 95% عن سنة 2022، والتي شهدت 7 آلاف حالة اعتقال، بينهم 882 طفلاً، و172 امرأة وفتاة.[183]

وارتفعت أعداد الأسرى الفلسطينيين المعتقلين من قطاع غزة من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي إلى أرقام قياسية منذ بدء العدوان في 2023/10/7، ولفت المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان النظر إلى أن الجيش الإسرائيلي سمح لجنوده شنّ عمليات اعتقال تعسفية وعشوائية وواسعة النطاق في قطاع غزة تحت إطار "قانون المقاتلين غير الشرعيين"، الذي يجرد الأسرى والمعتقلين من كافة الحقوق التي يوفرها لهم القانون الدولي الإنساني، ومعايير حقوق الإنسان. وقد عدّل هذا القانون مع بدء جريمة الإبادة الجماعية في قطاع غزة، بحيث يسمح باحتجاز الفلسطينيين من قطاع غزة لمدة 75 يوماً قابلة للتمديد إلى ما لا نهاية، وذلك على أساس أدلة سرية لا يحقّ للمحتجز أو محاميه الاطلاع عليها، مما يحرمه من حقه في الدفاع والمحاكمة بأدنى معايير المحاكمة العادلة. وأشار المرصد إلى أنه بحسب البيانات التي قدّمتها سلطة السجون الإسرائيلية، فإن عدد الفلسطينيين المعتقلين من غزة بموجب القانون المذكور بلغ في 2024/3/9، نحو 800 معتقل، إلى جانب آلاف آخرين يتمّ احتجازهم في منشآت اعتقال عسكرية.[184] وكان المرصد الأورومتوسطي قد ذكر، في 2024/2/23، أن عدد المعتقلين والمختفين قسراً من قطاع غزة، منذ بدء العدوان، قد بلغ 3,120.[185]

وشملت الاعتقالات خلال سنتي 2022 و2023، كما في السنوات الماضية، كافة شرائح وفئات المجتمع الفلسطيني، بمن فيهم الأطفال، والنساء، والأكاديميون، والأسرى المحرَّرون، والمرضى، وكبار السن، والناشطون الحقوقيون، والإعلاميون والصحفيون، والنواب، ونُفذت الاعتقالات بأشكال عدة كاقتحام البيوت، أو الاختطاف من الشارع، وأماكن العمل، واقتحام المستشفيات، واختطاف المرضى والمصابين، أو عبر "وحدات المستعربين"، أو عبر المعابر والحواجز العسكرية، كذلك اعتُقل العشرات من الصيادين في عرض البحر بقطاع غزة.

غير أن الخط البياني لتلك الاعتقالات كان متعرجاً خلال أيام وشهور سنة 2022، وبلغ متوسط الاعتقالات حيث بلغ 583 حالة شهرياً، ونحو 19 حالة يومياً. أما نسبة الاعتقالات خلال سنة 2023 فارتفعت أعلى بكثير من نسبة الاعتقالات خلال سنة 2022، حيث بلغ متوسطها الشهري 1,133 معتقلاً، واليومي نحو 37 حالة. وكان الحجم الأكبر من الاعتقالات خلال سنتي 2022 و2023 من نصيب منطقة القدس، حيث بلغت نحو 3 آلاف حالة اعتقال خلال سنة 2022، شكلت نحو 43% من إجمالي الاعتقالات، و3,261 حالة خلال سنة 2023، شكلت نحو 24% من إجمالي الاعتقالات.[186]

وأصدر الاحتلال الإسرائيلي 2,409 قرارات إدارية في سنة 2022، ما بين أوامر جديدة وتجديد، حيث شكّلت قضية الاعتقال الإداري المحطة الأبرز في التحوّلات التي شهدتها سنة 2022. وشكلت جريمة الاعتقال الإداري في سنة 2023 التحوّل الأبرز من حيث التصاعد الكبير في أعداد المعتقلين الإداريين، والتي لم تُشهد منذ أكثر من 30 عاماً، حيث بلغ عدد أوامر الاعتقال الإداري أكثر من 5,500 أمرٍ، من بينهم 3,819 أمراً جديداً، و1,689 أمر تجديد، وكان عدد الأوامر الصادرة بعد 2023/10/7 أكثر من 2,670، أي ما نسبته نحو 49% من عدد الأوامر الصادرة خلال سنة 2023.[187]

وأصدرت محاكم الاحتلال خمسة أحكام بالسجن المؤبد خلال سنة 2022، وسبعة أحكام بالسجن المؤبد خلال سنة 2023. وارتفعت قائمة شهداء الحركة الأسيرة إلى 243 شهيداً، وذلك بارتقاء ستة أسرى في سنة 2022، و10 في سنة 2023. يشار إلى أنّ 17 شهيداً من شهداء الحركة الأسيرة واصل الاحتلال الإسرائيلي احتجاز جثامينهم حتى نهاية سنة 2023، من بينهم ثمانية استشهدوا خلال 2023. وكان من بين شهداء الحركة الأسيرة الشهيد خضر عدنان، إثر إضرابه عن الطعام، رفضاً لاعتقاله التعسفي، استمر لمدة 86 يوماً، واستشهد في 2023/5/2، فيما استشهد 6 أسرى داخل سجون الاحتلال بعد 2023/10/7، علماً أن إعلام الاحتلال كشف عن معطيات تشير إلى استشهاد معتقلين آخرين من غزة في معسكر سديه تيمان في بئر السبع، والاحتلال يرفض الكشف عن أي معطى بشأن مصير معتقلي غزة.[188]

وشهدت سنتا 2022 و2023 تصاعداً في وتيرة الاقتحامات والتفتيشات التي نفذتها الوحدات الخاصة لأقسام الأسرى في السجون والمعتقلات الإسرائيلية، وبشكل خاص بعدما تولى المتطرف إيتمار بن جفير وزارة الأمن القومي الإسرائيلي، وإشرافه على إدارة السجون، فقد وثقت مؤسسات الأسرى العديد من شهادات الأسرى الذين تعرضوا لاعتداءات وتنكيل على يد قوات القمع الخاصة بالسجون، تخلّلها اعتداء مباشر بالضرب وسوء شديد بالمعاملة الذي يرتقي إلى التعذيب. فقد شهدت سنة 2023 تحوّلات كبيرة جداً، نفّذ الأسرى خطوات احتجاجية شاملة في كافة السّجون، رداً على تلك الإجراءات، والتي هدف بن جفير منها، إلى سلب الأسرى ما تبقى

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

لهم من حقوق، وقد مسّت هذه الإجراءات أبسط حقوق الأسرى، بدءاً من المدة المسموح للأسرى الاستحمام فيها، وكمية المياه التي تصل إلى أقسامهم، عدا عن التصاعد في سياسة الاقتحامات المتكررة لأقسام الأسرى، وقمعهم، وعزلهم، وفرض عقوبات بحقّهم، منها الغرامات المالية، والحرمان من زيارة العائلة، وكذلك الحرمان من (الكانتينا Cantina)، وهذه الإجراءات مسّت كافة الأسرى بما فيهم الأسيرات والأطفال.

ومع بداية العدوان على قطاع غزة، بدأت سلطات الاحتلال وإدارة سجونها، بتضييق الخناق والانتقام من الأسرى الفلسطينيين داخل السجون، وبلغ القمع والتوحش ذروته منذ 2023/10/7، حيث بدأ الاحتلال بقمع الأسرى وتعذيبهم، وسُجلت العشرات من الإصابات بين صفوف الأسرى والأسيرات الذين تعرضوا للاعتداء من قبل وحدات القمع، وتنوعت سبل التنكيل منذ ذلك التاريخ بين تعطيش وتجويع، بالإضافة إلى سحب كل مستلزمات الحياة الأساسية والإبقاء على الحدّ الأدنى منها، وعزلتهم عن العالم الخارجي، وقامت بزجّ العشرات من المعتقلين في غرف صغيرة ضَيِّقة. ومع دخول فصل الشتاء والبرد القارس اشتدت قسوة الإجراءات داخل السجون... ومنعت قوات الاحتلال اللجنة الدولية للصليب الأحمر International Committee of the Red Cross من تنفيذ أي زيارة للسجون بالتزامن مع إيقاف الزيارات العائلية بشكل مطلق.[189]

ونتيجة لسياسة إدارة سجون الاحتلال تجاه الأسرى، ومنها سياسة الإهمال الطبي، والانتهاكات، والاعتقال الإداري، والمحاكم الجائرة، ومنع الزيارات، خاض الأسرى خلال سنتي 2022–2023 عدداً من الإضرابات عن الطعام، الجماعية والفردية. وشكّلت إضرابات الأسرى و"معارك الأمعاء الخاوية" سلاحاً في فرض التخفيف من السياسة الجائرة والتعسفية، وانتزاع حريتهم وحقوقهم.

جدول 4/5: الأسرى والمعتقلون في سجون الاحتلال 2019–2023 [190]

السنة	المجموع الكلي للمعتقلين	الضفة الغربية*	قطاع غزة	محكومون مدى الحياة	النساء	الأطفال
2019	5,000	4,634	296	541	41	180
2020	4,400	4,075	255	543	41	170
2021	4,550	4,250	230	544	32	170
2022	4,700	4,400	200	551	34	150
2023	**9,000	8,520	**280	561	70	200

* أعداد تقريبية وفق إحصائيات مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان.

** لا تشمل معتقلي قطاع غزة بعد 2023/10/7.

الاعتقال الإداري:

على الرغم من أن الاعتقال الإداري محظور في القانون الدولي، ويخالف أبسط حقوق الإنسان، فقد استمر الاحتلال خلال سنتيْ 2022 و2023 في إصدار أوامر الاعتقال الإداري بحقّ شرائح مختلفة من المجتمع الفلسطيني، منهم أعضاء في المجلس التشريعي الفلسطيني، ونشطاء حقوق إنسان، وعمال، وطلبة، ومحامون، وتجار...؛ ووصل عدد المعتقلين الإداريين الذين تحتجزهم "إسرائيل" دون تهم محددة أو محاكمة إلى 2,070 معتقلاً في 2023/11/6، بينهم 16 نائباً في المجلس التشريعي الفلسطيني، بعد أن كان عددهم 835 في نهاية سنة 2022، بينهم 5 نواب، و500 في نهاية 2021، و380 في نهاية 2020، و461 في نهاية 2019.[191]

جدول 4/6: المعتقلون الإداريون 2019-2023[192]

السنة	2019	2020	2021	2022	2023
المعتقلون الإداريون	461	380	500	835	2,070

وفي إطار مواجهة جريمة الاعتقال الإداري، نفّذ 50 معتقلاً إدارياً إضراباً مفتوحاً عن الطعام، في 2022/9/25، تحت شعار إضرابنا حرية، وبالتزامن مع الإضراب قاطع المعتقلون الإداريون كافة درجات المحاكم العسكرية المختصة بالاعتقال الإداري. وخاض نحو 75 أسيراً خلال سنة 2022 عدة معارك للأمعاء الخاوية احتجاجاً على عدة إجراءات تعسفية نفذتها سلطات الاحتلال بحقهم، وكان من بين هذه الإضرابات إضرابات تكلّلت بالنجاح؛ حقق من خلالها الأسرى والمعتقلين مطالبهم، ومعظمها كانت إضرابات ضدّ الاعتقال الإداري. وفي سنة 2023، بالإضافة لاستشهاد المعتقل خضر عدنان، كان إضراب المعتقل الإداري كايد الفسفوس، من أبرز الإضرابات أيضاً، حيث استمر فيه لمدة 75 يوماً، رفضاً لاعتقاله الإداري، وعلّقه مع بداية عملية "طوفان الأقصى".[193]

سابعاً: الحصار الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني

واصلت قوات الاحتلال الإسرائيلي حصارها على قطاع غزة للعام الـ 17 على التوالي، في أطول عملية حصار في التاريخ المعاصر، وفرضت مزيداً من إجراءات الحصار على السكان، واستمرت في فرض قيود مشددة على حركة المعابر التجارية وحركة الأفراد. ولم يطرأ خلال سنتي 2022 و2023 تغيير هيكلي على إجراءات الحصار، حيث لم تمسّ التسهيلات المزعومة التي تعلنها سلطات الاحتلال جوهر القيود المفروضة على حرية الحركة للأفراد والبضائع.

وقد استمر فتح معبر رفح الحدودي خلال سنتي 2022 و2023 لمغادرة الحالات الإنسانية وعودة العالقين، غير أن عمل المعبر كان محدوداً وبوتيرة بطيئة جداً خلال سنة 2022، والتي تمكّن خلالها 144,042 مسافراً من مغادرة قطاع غزة، فيما عاد 132,162 مسافراً خلال الفترة ذاتها، فيما أرجعت السلطات المصرية 5,476 فلسطينياً ومنعتهم من السفر. وما زال آلاف الفلسطينيين المسجلين للسفر بكشوفات وزارة الداخلية الفلسطينية غير قادرين على السفر، بحسب هيئة المعابر والحدود في غزة. ويعاني المسافرون العائدون إلى قطاع غزة من إجراءات التفتيش التي تقوم بها السلطات المصرية، والتي تتسم بكونها طويلة ومتكررة وغير مبررة.[194]

وعلى صعيد حركة البضائع والسلع التجارية، واصلت سلطات الاحتلال خلال سنتي 2022 و2023 فرض القيود المشددة على توريد السلع التي تصنفها على أنها "مواد مزدوجة الاستخدام"، والتي يدّعي الاحتلال أن هذه المواد، بالرغم من استخدامها لأغراض مدنية، يمكن أن تستخدم في تطوير القدرات القتالية للمقاومة الفلسطينية. وتضع السلطات الإسرائيلية رسمياً على قائمة المواد مزدوجة الاستخدام 62 صنفاً، غير أن هذه الأصناف تحتوي مئات السلع والمواد الأساسية، فصنف "معدات الاتصال" يشمل وحده عشرات السلع. وتُعدّ المواد المدرجة على قائمة المواد مزدوجة الاستخدام أساسية لحياة السكان، ويسهم فرض القيود على توريدها في تدهور أوضاع البنية التحتية، وتدهور الأوضاع الاقتصادية، والصحية، والتعليمية. ومن هذه المواد: معدات الاتصال، والمضخات، ومولدات الكهرباء الكبيرة، والقضبان الحديدية، وأنابيب الحديد بجميع أقطارها، وأجهزة لحام المعادن، وقضبان الصهر المستخدمة في اللحام، وأنواع متعددة من الأخشاب، وأجهزة التصوير بالأشعة السينية، والرافعات والمعدات الثقيلة، وأنواع من البطاريات، والعديد من أصناف الأسمدة...

واستمرت سلطات الاحتلال في حظر تصدير كافة منتجات قطاع غزة إلى أسواق الضفة الغربية، وللأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948، والعالم للعام الـ 17 على التوالي، وفي استثناء محدود سمحت بتصدير كميات محدودة جداً من المنتجات الغزية (معظمها سلع زراعية). ويُشكّل معدل كمية الصادرات الشهرية التي سُمح بتصديرها نحو 12.7% من صادرات القطاع قبل فرض الحصار في سنة 2007. وقد أدى حظر تصدير منتجات القطاع إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية وإغلاق آلاف المصانع، ما أسهم في رفع معدلات البطالة والفقر في القطاع المحاصر.[195]

وواصلت سلطات الاحتلال فرض حصارها البحري على امتداد شواطئ قطاع غزة، حيث حرمت الصيادين من الوصول إلى المناطق التي تتكاثر فيها الأسماك. وعلى الرغم من سماحها للصيادين بالعمل لمسافة تتراوح من 6–15 ميل بحري، فقد قامت سلطات الاحتلال بتقليص

مسافة الصيد، أو إغلاق البحر بشكل كلي عشرات المرات، مدعية أن قرارات التقليص اتخذت كردٍّ فعل على إطلاق البالونات الحارقة والقذائف الصاروخية من قطاع غزة.[196]

وفي خطوة نجم عنها تدهور خطير في مستوى الأوضاع الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية لأكثر من مليونَيْ فلسطيني يعيشون في القطاع، وقالت عنها هيومن رايتس ووتش إنها "دعوة لارتكاب جرائم حرب"؛[197] وبعد 2023/10/7، أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف جالانت مجموعة إجراءات ضدّ قطاع غزة، رداً على عملية "طوفان الأقصى"، وقال: "لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا وقود، كل شيء مغلق". كذلك أمر وزير الطاقة يسرائيل كاتس شركة المياه الوطنية بقطع إمدادات المياه عن قطاع غزة "فوراً".[198]

ويمثل هذا إقراراً رسمياً معلناً من الحكومة الإسرائيلية بفرض التجويع والتعطيش بالتوازي مع القتل والتدمير، في سلوك يكاد يكون غير مسبوق، مع صمت دولي يصل إلى حدّ التواطؤ. وواصلت قوات الاحتلال منذ بدء العدوان في 2023/10/7، فرض إغلاق مُحكَم على قطاع غزة، ومنعت إمدادات الغذاء والمياه والدواء، باستثناء عدد محدود من الشاحنات، سمحت بإدخاله، وشددت على تخصيصه لجنوب القطاع. ولم تقتصر قوات الاحتلال على ذلك، فأقدمت على قصف المخابز، والمحال والمراكز التجارية، ومخازن مواد التموين، ومزارع الدواجن، ومساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، واستهدفت المزارعين في غزة، ما يعطي مؤشرات عن وجود قرار تنفيذي بحرمان المدنيين من الاستفادة من المواد الغذائية القليلة المتبقية في القطاع وتجويع السكان.

وفي 2023/10/11، غرق قطاع غزة تماماً في الظلام مع توقف محطة الكهرباء الوحيدة عن العمل، وبقيت بعض المنشآت والمنازل التي لديها طاقة بديلة... وانعكس ذلك سريعاً على العديد من الخدمات؛ منها إمدادات المياه والاتصالات والإنترنت، ما جعل القطاع في شبه عزلة تامة مع الإغلاق المحكم للمعابر. وتسبّب القصف الإسرائيلي للعديد من مرافق البلديات، إلى شلّ قدرتها على تقديم المياه والخدمات الأساسية للمواطنين، بما في ذلك تعطّل ترحيل النفايات، ما قد يتسبب بكارثة إنسانية غير مسبوقة. واضطر مئات الآلاف إلى شرب مياه ملوثة أو غير محلاة، ما سيكون له تداعيات صحية عديدة وخطيرة.[199]

وبالعودة إلى سير الأمور في قطاع غزة قبل عملية "طوفان الأقصى"، وفيما يتعلق بحركة الأفراد، ما زالت سلطات الاحتلال المتمركزة على معبر بيت حانون/ إيرز شمالي القطاع، ترفض السماح لمعظم سكان القطاع الخروج منه أو العودة إليه. وفي المقابل، تسمح بمرور بعض الفئات، في نطاق ضيق جداً، كالمرضى من ذوي الحالات الخطيرة ومرافقيهم، والمواطنون الفلسطينيون

حملة الجنسية الإسرائيلية، والصحفيون الأجانب، والعاملون في المنظمات الدولية الإنسانية، والتجار ورجال الأعمال، وأهالي المعتقلين في السجون الإسرائيلية، وبعض المسافرين عبر معبر الكرامة.[200]

وفرضت سلطات الاحتلال قيوداً حتى على الراغبين في السفر في إطار الاستثناءات القليلة ضمن سياسة الإغلاق، وأغلب سكان القطاع لا تنطبق عليهم هذه الاستثناءات. كذلك منعت سلطات الاحتلال الفلسطينيين الشباب أبناء الطوائف المسيحية في قطاع غزة من دخول القدس وبيت لحم والناصرة خلال عطلة الميلاد للمشاركة في ممارسة وأداء الشعائر الدينية.[201]

وبالإضافة إلى التقييدات الشاملة على حركة الفلسطينيين التي تفرضها "إسرائيل" في الأيام العادية، غالباً ما يستخدم إغلاق المعابر كإجراء عقابي. على سبيل المثال، خلال العدوان على قطاع غزة في آب/ أغسطس 2022، وأيار/ مايو 2023، وعملية "طوفان الأقصى"، أغلقت "إسرائيل" معبر بيت حانون/ إيرز بشكل كامل، واستمرت في فرض تقييدات إضافية على حركة الأشخاص من خلاله حتى بعد التوصل إلى وقف إطلاق النار.

ثامناً: مسار التسوية السلمية

لم تشهد الفترة التي يغطيها التقرير أي جهود أو مبادرات حقيقية وجديَّة تهدف إلى إحياء ما يسمى "عملية السلام"، بل مجرد تصريحات على لسان الرئيس الأمريكي جو بايدن وأركان إدارته، وكذلك الاتحاد الأوروبي، عن التمسك بـ"حل الدولتين"، ولكن على أساس أن هذا لن يحدث الآن بل لاحقاً، ومن دون تحديد من هو الطرف الأساسي الذي يُعيق التقدم باتجاه تحقيقه؛ إذ جدّد بايدن خلال زيارة إلى "إسرائيل"، يوم 2023/10/18، بعد أيام من معركة طوفان الأقصى، التزامه بإقامة دولة فلسطينية، على الرغم من الحرب المستمرة بين "إسرائيل" والمقاومة في غزة، قائلاً: "مهما بلغت صعوبته، علينا أن نستمر في مواصلة السعي نحو إحلال السلام، علينا أن نواصل السعي نحو مسار يمكِّن كلاً من إسرائيل والشعب الفلسطيني من العيش بأمان وكرامة وسلام".[202]

وجاء الموقف الأوروبي في غير مرة متمسكاً بـ"حل الدولتين"؛ إذ قال جوزيب بوريل Josep Borrell، مسؤول السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، خلال كلمته بالمنتدى الإقليمي السنوي للاتحاد من أجل المتوسط في نسخته الثامنة، إنه "لن يكون هناك سلام أو أمن لإسرائيل من دون دولة فلسطينية".[203]

وفي أحيان عديدة، عند التطرق إلى هذا الموضوع، يتم تحميل الطرفين المعنيين المسؤولية عن استمرار تجميد مسار التسوية، من خلال الحديث عن أن الحكومة الإسرائيلية غير جاهزة، وأن الجانب الفلسطيني غير جاهز جراء استمرار الانقسام الفلسطيني، وعدم وجود شريك فلسطيني واحد يُمثّل الفلسطينيين، مع أن أي تقييم يتحلى بأي قدر من الموضوعية والحقيقة يصل سريعاً إلى أن العائق الأساسي لعدم استئناف المفاوضات والتوصل إلى اتفاق هو الحكومات الإسرائيلية، بل أكثر من ذلك؛ فقد تمّ تشكيل حكومة إسرائيلية في بداية سنة 2023 تبنّت رسمياً في برنامجها هدف ضمّ "يهودا والسامرة" إلى "إسرائيل" بوصفهما جزءاً لا يتجزأ من "أرض إسرائيل"، وضمّت في داخلها حزب الصهيونية الدينية الذي يتبنى خطة الحسم، التي تقوم على أن بمقدور الحكومة الإسرائيلية تحقيق ما عجزت عن تحقيقه الحكومات السابقة، وهو حسم الصراع وليس إدارته أو تقليصه أو تحقيق الأهداف الاستعمارية والاستيطانية والعنصرية والعدوانية الإسرائيلية ببطء، وعلى مراحل، وإنما بسرعة وبضربة واحدة.

في المقابل، استمر الجانب الرسمي الفلسطيني في تبني نهج المفاوضات، والدعوة إلى استئنافها من النقطة التي انتهت إليها، والدعوة إلى عقد مؤتمر دولي، والطلب من الأمم المتحدة والدول الاعتراف بالعضوية الكاملة لدولة فلسطين، على أساس المطالبة بالتزام الحكومة الإسرائيلية بالمفاوضات والالتزامات المترتبة عليها في اتفاق أوسلو وملحقاته، مع أن اتفاق أوسلو قتلته الحكومات الإسرائيلية من جانب واحد منذ زمن بعيد، والالتزامات الإسرائيلية فيه غير قائمة ومرفوضة إسرائيلياً. وعندما لم تُقدِم الحكومات الإسرائيلية على عدم إلغاء رسمي له، فهذا يرجع إلى أنها لا تريد تحمّل المسؤولية عن موته، وحتى تبقي حجة للجانب الفلسطيني الرسمي للتمسك به، وحتى لا تغضب الولايات المتحدة وأوروبا وبقية أطراف المجتمع الدولي، وخصوصاً أنّ عدم الإلغاء الرسمي لم يمنع تجاوزه جوهرياً على الأرض، من خلال الاستمرار في سياسة الضم الزاحف، والقضم المتدرج، وإيجاد الحقائق الاحتلالية والاستيطانية والعنصرية على الأرض، واستكمال فرض أمر واقع يجعل الحل الإسرائيلي هو الحل الوحيد الممكن عملياً.

وتطرَّق الرئيس محمود عباس إلى هذه المطالب في خطاباته خلال السنتين 2022 و2023، لا سيّما في الجمعية العامة في الأمم المتحدة؛ إذ قال في الدورة الـ 77 للجمعية العامة، يوم 2022/9/23:

> إن إسرائيل التي تتنكر لقرارات الشرعية الدولية، قرَّرت ألّا تكون شَريكاً لنا في عملية السلام، فهي التي دمرت اتفاقات أوسلو التي وقَّعتها مع منظمة التحرير الفلسطينية، وهي التي سَعت وتَسعى بسياستها الراهنة وعن سبق إصرار وتصميم إلى تدمير حلّ الدولتين، وهو ما يُثبت بالدليل القاطع أنها لا تؤمن بالسلام، بل بسياسة فرض الأمر الواقع بالقوة الغاشمة والعدوان، وبالتالي لم يعد هناك شريك إسرائيلي يمكن الحديث معه. وهي بذلك تنهي العلاقة التعاقدية معنا، وتجعل العلاقة بين دولة فلسطين وإسرائيل،

علاقة بين دولة احتلال وشعب محتل، وليس غير ذلك، وسوف لن نتعامل مع إسرائيل إلا على هذا الأساس، ونطالب المجتمع الدولي التعامل معها أيضاً على هذا الأساس أيضاً.[204]

وعلى الرغم من النقد الذي جاء في الخطاب، فإن الممارسة السياسية للقيادة الرسمية لم تتجاوز استراتيجيتَيْ الانتظار والبقاء، وهذا أدى عملياً وبصورة متزايدة إلى التعايش مع سياسة الأمر الواقع الاحتلالي التي دأبت على ممارستها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.

كما ذهب عباس إلى المطالبة بتنفيذ قرار الجمعية العامة رقم 181 الذي شكَّل أساساً لحل الدولتين في سنة 1947، وكذلك القرار رقم 194 المنادي بحق العودة، مشيداً بخطابَي الرئيس الأمريكي جو بايدن ورئيس الوزراء الإسرائيلي يائير لابيد بشأن الموقف المؤيد لحل الدولتين، موضحاً أنه هذا أمر إيجابي، مشيراً إلى أن الاختبار الحقيقي لجدية ومصداقية هذا الموقف، هو "جلوس الحكومة الإسرائيلية إلى طاولة المفاوضات فوراً، لتنفيذ حلّ الدولتين على أساس قرارات الشرعية الدولية ذات العلاقة، ومبادرة السلام العربية، ووقف كلّ الإجراءات أحادية الجانب التي تقوِّض حلّ الدولتين".[205]

كما جدّد الرئيس دعوته لعقد مؤتمر دولي خلال القمة العربية الصينية الأولى المنعقدة في العاصمة السعودية الرياض، في 2022/12/9، وإلى "تأمين الحماية الدولية لشعبنا الفلسطيني، وتطبيق قرارات الشرعية الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية".[206]

وطُرحت مبادرة صينية للحل، وسط إشارات على تنشيط الدور الصيني؛ إذ جدَّد الرئيس الصيني شي جين بينج Xi Jinping في أثناء لقائه الرئيس الفلسطيني محمود عباس رغبة بلاده في الوساطة بين الفلسطينيين والإسرائيليين من أجل حلّ شامل ودائم وعادل للقضية الفلسطينية.

وعرض الرئيس الصيني رؤية من ثلاث نقاط، تتمثل في:

إقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة كاملة على حدود العام 1967، وعاصمتها القدس الشرقية، وضمان توفير احتياجات فلسطين اقتصادياً ومعيشياً، بزيادة المساعدات الإنمائية والإنسانية، واحترام الوضع التاريخي الراهن للأماكن المقدسة في القدس، وتجنّب الأقوال والأفعال المفرطة والاستفزازية. ولأجل ذلك يتعين العمل على عقد مؤتمر سلام دولي بما يضمن تهيئة الظروف لاستئناف مفاوضات التسوية السياسية بين السلطة الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية.[207]

كما قام المبعوث الصيني لـ"السلام" بزيارات متكررة إلى المنطقة، والتقى عدداً من المسؤولين، بمن فيهم الرئيس الفلسطيني، ولكن هذا لم يُحدث تأثيراً كبيراً؛ لأن اللاعب الرئيسي لما يسمى "عملية السلام"، كان وما يزال الولايات المتحدة، على الرغم من تجميدها الكامل لها، نزولاً عند رغبة "إسرائيل".

وهدَّدت القيادة الرسمية الفلسطينية باستبدال الراعي الأمريكي لـ"السلام"، أو بإضافة رعاة جدد إلى أطراف اللجنة الرباعية الدولية، ولكن هذا بقي كلاماً ولم يخرج إلى حيّز التطبيق.

وحاولت أوروبا بالتعاون مع دول عربية إطلاق مبادرة سياسية تهدف إلى إحياء "عملية السلام"، وعقدت أكثر من لقاء على هامش اجتماعات الأمم المتحدة أسمته "يوم السلام"، وهي محاولات لسدِّ تجاهل القضية الفلسطينية، ولملء الفراغ وقطع الطريق على قيام لاعبين آخرين بملئه، ولكن لم تؤدِّ إلى تحرك جدي أو مبادرة قادرة على تحريك ما يسمى "عملية السلام"، التي باتت منذ زمن بعيد "عملية بلا سلام".

وفي هذا السياق، أطلق الاتحاد الأوروبي والسعودية وجامعة الدول العربية، بالتعاون مع مصر والأردن مبادرة لتحقيق "السلام" في الشرق الأوسط، وقد صدر بيان مشترك، في أيلول/ سبتمبر 2023، عن الاتحاد الأوروبي والسعودية بخصوص هذه المبادرة التي تمّ إطلاقها في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، بحضور نحو 50 وزيراً للخارجية من مختلف أنحاء العالم، تهدف إلى "إنشاء حزمة دعم السلام لتعظيم فوائد السلام للإسرائيليين والفلسطينيين بمجرد التوصل إلى اتفاق نهائي".[208]

وتتركز الجهود، بحسب البيان، على "الحفاظ على حلّ الدولتين، واحترام القانون الدولي، وقرارات الأمم المتحدة، والوضع الراهن للأماكن المقدسة في القدس، وتعتمد على مبادرة السلام العربية وعرض السلام الذي قدمه الاتحاد الأوروبي للعام 2013، مع التركيز على تحقيق مكاسب السلام الشامل"، إضافة إلى "وضع حدّ للإجراءات الأحادية الجانب التي تقوض حلّ الدولتين، ودعم التنمية الاقتصادية الفلسطينية".[209]

كما قامت روسيا بجهود وعقد لقاءات، وطالبت بإحياء "عملية السلام"، ولكنها كانت أيضاً بلا جدوى.

وأكد عباس المطالب السابقة وغيرها في الدورة الـ 78 للجمعية العامة خلال خطابه الذي ألقاه في 2023/9/21، إذ طالب بـ"عقد مُؤتمرٍ دوليٍ للسلام، تُشارك فيه جميع الدول المعنية بتحقيق السلام في الشرق الأوسط بشكل عام... الذي قد يكون الفُرصةَ الأخيرةَ لإبقاء حل الدولتين مُمكناً، ولمنع تدهور الأوضاع بشكل أكثر خطورة، ما يهدد أمن واستقرار منطقتنا والعالم أجمع".[210] كما دعا "إلى اتخاذ خطوات عملية مستندة لقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة وللقانون الدولي"، وإلى مطالبة "الدول التي لم تعترف بعد بدولة فلسطين إلى إعلان هذا الاعتراف، وكذلك أن تحظى دولة فلسطين بالعضوية الكاملة في الأمم المتحدة"، مضيفاً:

> أنا لا أستطيع أن أفهم ولا أن أتقبل أن تُحجِم بعض الدول، بما فيها أمريكا ودول أوروبية، عن الاعتراف بدولة فلسطين، التي قبلتها الأمم المتحدة عضواً مراقباً فيها، هذه الدول التي تؤكد كل يوم تأييدها لحل الدولتين، لكنها تعترف بدولة منهما فقط وهي إسرائيل، لماذا؟ وما هو الخطر الذي يُشكله حصول دولة فلسطين على العضوية الكاملة في الأمم المتحدة؟[211]

وكالعادة، بقيت كل هذه المطالبات حبراً على ورق من دون تنفيذ، ومن دون الإقدام على ما تتطلبه من تغيير المسار، تطبيقاً لقرارات المجلسَيْن المركزي والوطني منذ دورة المجلس المركزي التي عقدت في آذار/ مارس 2015 وحتى كتابة هذا التقرير.

فالسر الذي يفسر استمرار القيادة الرسمية بالسياسة الفاشلة ذاتها وإعادة إنتاجها باستمرار هو اعتماد استراتيجية التعويل، والرِّهان عليها من دون رفدها باستراتيجيات أخرى، خصوصاً بهدف جمع أوراق القوة والضغط، وذلك من خلال استراتيجية المقاومة بكل أشكالها، وعلى رأسها المقاومة المسلحة، وكذلك المقاطعة التي حقَّقت نتائج جيدة، وكذلك استراتيجية اللجوء إلى المحاكم الدولية، مثل المحكمة الجنائية الدولية International Criminal Court (ICC) ومحكمة العدل الدولية، وكذلك الوحدة الوطنية، التي لجأت إليها القيادة الرسمية بوصفها ورقة ضغط تكتيكية وليست استراتيجيات دائمة، وما يمنعها من ذلك الخشية من المواجهة التي يمكن أن تؤدي إليها اعتماد سياسة جديدة، وكذلك للحفاظ على مصالح ونفوذ وقوة وشبكة علاقات متنوعة أفقياً وعمودياً بُنيت خلال عشرات السنين من الاحتلال ونحو 17 عاماً من الانقسام؛ إذ تولدت بنية كاملة متكاملة وجماعات مصالح أصبحت مصالحها ودورها، وربما بقاؤها، مرتبطة ببقاء الوضع دون تغيير.

ومضت الحكومات الإسرائيلية أكثر من ذلك، وتحديداً منذ تولي بنيامين نتنياهو سدة الحكم في "إسرائيل" منذ سنة 2009، واستثمرت في الانقسام الفلسطيني كما صرَّح نتنياهو مراراً، وفي فصل الضفة الغربية عن قطاع غزة، وفي فرض "السلام" الاقتصادي والأمني بوصفه حلاً وحيداً وسقفاً للتعامل مع الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، لدرجة رفض عقد أي لقاء سياسي مع الرئيس محمود عباس أو أي من القيادات الفلسطينية؛ حيث لم يعقد ولا لقاء سياسي، واللقاءات القليلة التي عقدت كان عنوانها ومضمونها أمنياً اقتصادياً ومن دون مشاركة الرئيس. وهذا ما تعاملت معه القيادة الرسمية عملياً، مع أنها رفضته رسمياً، ولم تقم بتنفيذ كما أشرنا آنفاً قرارات الإجماع الفلسطيني، بما في ذلك قرارات المجلسَين المركزي والوطني، اللذين تسيطر عليهما تماماً، في ظلّ عدم قبول دخول حركتَي حماس والجهاد الإسلامي، ومقاطعة فصائل أساسية، أبرزها الجبهة الشعبية، اعتراضاً على نهج التفرد، وعدم تنفيذ القرارات

التي أرادت إعادة النظر في العلاقة بدولة الاحتلال، والتخلي عن أوسلو والتزاماته السياسية والاقتصادية والأمنية.

وجاء في هذا السياق عقد قمتَي العقبة وشرم الشيخ، اللتين كان عنوانهما أمنياً واقتصادياً؛ حيث نصّ البيان الختامي لقمة شرم الشيخ على أن الأطراف الخمسة أجرت "مناقشات مستفيضة حول سُبل وأساليب التخفيف من حدة التوترات على الأرض بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بهدف تمهيد السبيل أمام التوصل إلى تسوية سلمية بين الإسرائيليين والفلسطينيين".[212]

وأضاف البيان التزام المشاركين بـ"تعزيز الأمن والاستقرار والسلام للإسرائيليين والفلسطينيين، على حدّ سواء، والإقرار بضرورة تحقيق التهدئة على الأرض، والحيلولة دون وقوع مزيد من العنف، فضلاً عن السعي من أجل اتخاذ إجراءات لبناء الثقة، وتعزيز الثقة المتبادلة، وفتح آفاق سياسية، والتعاطي مع القضايا العالقة عن طريق الحوار المباشر".[213]

كما جددت حكومة الاحتلال الإسرائيلي، والسلطة الفلسطينية، من خلال البيان، "استعدادهما والتزامهما المشترك بالتحرك بشكل فوري لإنهاء الإجراءات الأحادية لفترة من 3 إلى 6 أشهر. ويتضمن ذلك التزاماً إسرائيلياً بوقف مناقشة أيّ وحدات استيطانية جديدة لمدة 4 أشهر، ووقف إصدار تراخيص لأي نقاط استيطانية لمدة 6 أشهر".[214]

إن المشاركة في قمتَي العقبة وشرم الشيخ يدل على الاستمرار بالمراهنة على المقاربة الأمنية، وهي محاولات جديدة لتقوية السلطة التي تزداد ضعفاً وتتآكل شرعيتها باستمرار، في ظلّ فشل برنامجها السياسي، والتَّهرُّب من إجراء الانتخابات في إطار الدفاع عن بقاء السلطة؛ حيث غدت السلطة عملياً هي الهدف، وليس كما هو معلن إنهاء الاحتلال وتجسيد استقلال دولة فلسطين التي اعتُرِف بها عضواً مراقِباً في الأمم المتحدة، واستخدمت الولايات المتحدة الفيتو veto في مجلس الأمن الدولي UN Security Council لمنع الاعتراف بها بوصفها دولة كاملة العضوية.

1. طوفان الأقصى ومسار التسوية:

من دون أدنى شك، ترك طوفان الأقصى تأثيره في مسار التسوية، فهو لم يترك شيئاً كما كان قبله، فأدى إلى جعل القضية الفلسطينية حاضرة كما لم تكن من قبل، وأثبت مجدداً بقوة غير مسبوقة أن مختلف المحاولات والمبادرات والمخططات لتصفية القضية الفلسطينية أو القفز عنها أو تأجيلها، أو تصور أن التطبيع العربي الإسرائيلي قادر على تهميشها، باءت بالفشل، فأطاح طوفان الأقصى بحلم نتنياهو على استكمال التطبيع والتوصل إلى اتفاق مع المملكة العربية السعودية التي أعلنت عن تجميد المباحثات بخصوصه، وأكدت التزامها بمبادرة السلام العربية وتطبيق "حلّ الدولتين".

بعد طوفان الأقصى، ومهما كانت نتيجة هذه الحرب، ستطرح القضية الفلسطينية نفسها على مختلف اللاعبين الدوليين، من دون أن يعني ذلك توفر فرصة كبيرة للتوصل إلى حلّ متوافق عليه بين القيادة الفلسطينية الرسمية والقيادة الإسرائيلية. فهناك فرصة، ولكنها محاصرة وممنوعة التحقق، بحكم عدم وجود شريك إسرائيلي لـ"السلام"، وعدم وجود إرادة دولية، وخصوصاً أمريكية للضغط على "إسرائيل"، بل تكيَّفت إدارة بايدن مع واقع وجود حكومات يمينية إسرائيلية ضدّ "التسوية"، وتعارض معارضة كاملة حتى مبدأ قيام دولة فلسطينية، حتى لو كانت دولة شكلية لا تملك من مقومات الدول إلا الاسم، وكل ما تريده واشنطن من حكام تل أبيب هو مسايرتها وإبداء مرونة فيما يتعلق بقيام دولة فلسطينية من دون قيامها فعلاً؛ من أجل استدراج السعودية وغيرها من الدول العربية والإسلامية إلى مستنقع التطبيع.

فإدارة بايدن لا تريد دولة فلسطينية لأنها لو أرادتها لمارست الضغط على "إسرائيل"، وهي تعرف أن إيجاد واقع احتلالي استيطاني في الضفة وصل إلى حدٍّ بلوغ عدد المستعمرين المستوطنين إلى نحو مليون مستوطن؛ يجعل إمكانية قيام الدولة أمراً صعباً جداً، ويكاد أن يكون مستحيلاً.

ومما يزيد الطين بِلَّةً، ضَعفُ الموقف العربي الرسمي، وتعايشه مع الواقع الذي تُنشِئُه الحكومات الإسرائيلية، ما أدى إلى خفض سقف الموقف العربي الرسمي باستمرار، حيث أصبح التطبيع مع "إسرائيل" سراً وعلناً، والاقتراب من الانضمام إلى ما يسمى "الاتفاقات الإبراهيمية Abraham Accords" من دون حلّ القضية الفلسطينية سيّد الموقف، لدرجة أن اللمسات الأخيرة للتطبيع السعودي الإسرائيلي كادت أن توضع قبل 2023/10/7، مقابل تحسين حياة الفلسطينيين، وبداية مسار سياسي ينتهي ولا يبدأ كما هو مفترض بإقامة دولة فلسطينية.

وهذا يعني تجريباً للمجرب بشروط أسوأ وبعد معرفة النهاية منذ البداية؛ أي بلا أوهام كبيرة ولا رهانات خاسرة، حيث بات فريق رسمي عربي كبير يرى أن التطبيع لا بدّ منه، ولو جاء على حساب القضية الفلسطينية.

في هذا السياق، نُفسِّر الدفعة القوية التي حصلت، وأبرزت حتى في ذروة الحرب ضرورة التمسك بما يسمى "حلّ الدولتين"، والدعوة للسعي إلى تطبيقه، لدرجة أن تكرار ورود "حلّ الدولتين" في تصريحات بايدن وأركان إدارته دفع، كما ورد في وسائل الإعلام الإسرائيلية، الحكومة الإسرائيلية بمختلف أركانها، بمن فيهم بني جانتس، وكذلك يائير لابيد، زعيم المعارضة، إلى انتقاد هذا الأمر، ومطالبة إدارة البيت الأبيض بالكف عنه لأنه يرفع سقف التوقعات الفلسطينية والعربية، ويحرج "إسرائيل" ويضعف موقفها، بالإضافة إلى تأكيد

إصرار الاتحاد الأوروبي على حلّ الدولتين من دون الإقدام على مبادرة خاصة به، بل بقي في دائرة انتظار الموقف الأمريكي، مع أن حاجات ومصالح الاتحاد الأوروبي تفرض عليه ضرورة توسيع هامش تحركه المستمر، كما يظهر في التحركات والمبادرة التي أطلقها بوريل، التي تذهب إلى حدّ العمل على فرض "السلام" وعدم الاكتفاء بالدعوة إليه.[215]

لكن التجربة علمتنا أن أوروبا لا تذهب بعيداً عن الموقف الأمريكي، وأنها تلعب في الوقت الضائع عندما تنشغل الإدارة الأمريكية، حتى لا ينشأ فراغ يملؤه لاعبون آخرون غير مرغوبين.

في المقابل، قال إسماعيل هنية، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، في خطاب له في 2023/11/1، في ذروة الحرب، إن حركته قدّمت تصوراً شاملاً يبدأ بوقف العدوان، وفتح المعابر، ومروراً بصفقة لتبادل الأسرى، و"انتهاء بفتح المسار السياسي لقيام دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس وحق تقرير المصير".[216] هذا، بالطبع مع احتفاظ حماس بثوابتها وعلى رأسها عدم الاعتراف بـ"إسرائيل".

2. هل سيتحقق "حلّ الدولتين"؟

ليس ثمة فرصة، على الأغلب، لتحقّق "حلّ الدولتين" بعد أن تضع الحرب أوزارها، على الرغم من الحراك السياسي الذي يمكن أن نشهده؛ لأن مجمل الدّعم والتفاعلات والضغوط باتجاه هذا الحلّ ليست كافية لتحقيقه؛ حيث ستعود الأمور إلى شيء قريب مما كانت عليه قبل الحرب، مع احتمال تنشيط الجهود باتجاه مسار التسوية السلمية، لدرجة يمكن أن تصل إلى عقد مؤتمر دولي وإطلاق مسار سياسي جديد يهدف إلى التوصل إلى اتفاق، يستخدم للتغطية على ما تقوم به دولة الاحتلال، وعلى المحاولات الرامية إلى تفعيل مسار التطبيع.

ويمكن أن تصل الأمور إلى طرح قيام دولة فلسطينية على غرار الدولة التي طرحها دونالد ترامب في "صفقة القرن"، وهي لا تحقق دولة، ولكن طرحها لازم لاستكمال تصفية القضية الفلسطينية من مختلف جوانبها وأبعادها.

وهنا، لا بدّ من الحذر ورفض أي عودة أو إعادة إنتاج للمفاوضات كما كانت في السابق، التي أوصلتنا إلى الكارثة التي نحن فيها، وإنما لا بدّ من الإصرار من الجانب الفلسطيني، وبالتالي العربي، على أن أي تفاوض أو مؤتمر دولي يجب أن يستند إلى تغيير موازين القوى، وجمع أوراق القوة والضغط، وعلى رأسها المقاومة، وكذلك على الاتفاق على مرجعية سياسية منذ البداية، وليس التفاوض على الحقوق الفلسطينية وتركها في يد العدو الذي يرفضها ويعمل على تصفية القضية الفلسطينية من مختلف جوانبها.

وهذا يتطلب وضع اختبار لواشنطن والدول الغربية وكل الدول التي تطالب بما يسمى حلّ الدولتين، يقضي بمطالبتها بالاعتراف بالدولة الفلسطينية على حدود 1967 وعاصمتها القدس، والاعتراف الأممي بها في مجلس الأمن؛ حيث تحصل على العضوية الكاملة. وبعدها تبدأ عملية سياسية جادة لتطبيق قيامها وتحقيق سيادتها.

وما يجعل هذا السيناريو ليس هو السيناريو الأول والأكثر احتمالاً أن "إسرائيل" بمختلف تياراتها واتجاهاتها الفاعلة، وليس فقط حكومة نتنياهو، لا يوجد فيها شريك لـ"التسوية السلمية"، وحتى لو سقطت الحكومة الإسرائيلية الحالية، وتشكلت حكومة برئاسة بني جانتس فلن تكون مستعدة للانخراط بشكل جدي في عملية سياسية لها أفق حقيقي يُنبِّئ بإمكانية التوصل إلى اتفاق شامل. نعم، يمكن أن توافق حكومة جديدة في "إسرائيل" على استئناف مفاوضات "السلام" بضغط من إدارة بايدن، ولكن فوز بايدن بولاية ثانية غير مضمون، كما أن احتمال نجاح دونالد ترامب أو أي مرشح يختاره الحزب الجمهوري Republican Party لخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية، يجعل فرص التوصل إلى تسوية فُرصاً أقل أو منعدمة.

3. عوائق أمام مسار التسوية:

من العوائق الضخمة أمام إطلاق مسار جدي للتوصل إلى تسوية ما يأتي:

أ. الواقع الذي أوجده الاحتلال في الضفة الغربية بسبب وجود نحو مليون مستوطن، وكل ما يترتب على ذلك من عوائق مادية وإشكالات، من كل الأنواع، تجعل أي بحث بالتوصل إلى تسوية بحاجة إلى ضغوط كبيرة جداً على "إسرائيل"، داخلية وخارجية، وهي غير متوفرة. فهناك ضغوط ولكنها تسمح بالحدِّ الأقصى بحلول انتقالية جديدة مع وعد بحلول نهائية لاحقة.

ب. استمرار الانقسام الفلسطيني، مع أن حرب الإبادة التي تشنّها دولة الاحتلال لا تفرّق بين فلسطيني وآخر، ومع أن نتنياهو يرفض العودة إلى أوسلو أو اتفاق شبيه فيه، لأنه يرى أن أوسلو أصل البلاء، وهو يرفض "فتحستان" كما يرفض "حماسستان"، لذلك رفض عودة السلطة إلى قطاع غزة، وألمح تساحي هنغبي، مستشاره للأمن القومي، إلى أن حكومته يمكن أن تقبل ذلك إذا أجرت السلطة تعديلات جوهرية تلبي الشروط والمصالح الإسرائيلية، أي تحول السلطة من سلطة متعاونة مع الاحتلال إلى سلطة عميلة.

ج. إن الصمود الفلسطيني وشبه الإجماع على دعم المقاومة، واستبسال المقاومة التي فاجأت العالم كله في 2023/10/7 وفي الحرب البرية، لم يؤدِّ إلى هزيمة ساحقة لأحد طرفَي الصراع، بما في ذلك لقوات الاحتلال، فالنصر سيحدث بالنقاط، مع أن الثمن الفلسطيني باهظ جداً، والأهم أن هذا يعني نوعاً من الانتصار، فما دام الطرف الضعيف لم يمكّن الطرف القوي من

عدم تحقيق أهدافه، فالحرب لم تنتهِ على الرغم من دخولها مرحلة جديدة تثبت فشل المراحل السابقة في تحقيق الأهداف التي حددتها حكومة الطوارئ الإسرائيلية، لذا ستأخذ الحرب أشكالاً جديدة سياسية وعسكرية واقتصادية، تحاول فيها حكومة العدوان تحقيق ما عجزت عن تحقيقه بالحرب العسكرية، حتى لو اقتضى الأمر أشهراً عدة، وربما عاماً أو اثنين.

د. ما تزال حكومة الطوارئ التي يرأسها نتنياهو في سدة الحكم حتى كتابة هذه السطور، ويمكن أن تبقى حتى نهاية الحرب، وهذا يمكن أن يستغرق أشهراً عدة، وربما عاماً أو أكثر، وهي ترفض أي طرح سياسي وأي مبادرة يمكن أن تؤدي إلى إعادة الوحدة بين الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي تراهن على أن الإدارة الأمريكية بعد ثلاثة أشهر تدخل في مرحلة "البطة العرجاء" (بدء الحملة الانتخابية). كما ستدفع حكومة نتنياهو الأمور إلى حين الانتخابات، وتراهن على فوز دونالد ترامب أو أي مرشح جمهوري آخر، وهم كلهم سيكونون إلى جانبها بدرجات متفاوتة، وسيتبنون "صفقة القرن" أو خطة تماثلها.

يبقى العامل الأهم الذي يمكن أن يؤثر في مسار التسوية وكل المسارات، وهو صمود الشعب وبسالة المقاومة، والخسائر الفادحة التي توقعها بالعدو، والعمل على تحويل الوحدة الشعبية والميدانية إلى وحدة سياسية ومؤسسيَّة، على أساس رؤية شاملة جديدة وقيادة موحدة تتسلح ببرنامج الحد الأدنى والقواسم المشتركة، ووحدة وطنية ديموقراطية كفاحية؛ وحدة تقوم على شراكة حقيقية تستند إلى التوافق الوطني بشكل مؤقت، وتعمل جاهدة على الاحتكام إلى الشعب عبر الانتخابات عندما يكون ذلك ممكناً وفي أسرع وقت ممكن.

إن طرح برنامج متكامل سياسي اقتصادي ثقافي كفاحي للمرحلة الراهنة، يحدد ما يمكن ويجب تحقيقه في هذه المرحلة، مع أن إمكانية تحقيقه بصورة كاملة ضعيفة، ولكنه يمكن أن يساعد على درء الأخطار وتقليل الأثمان ويقدم حاجزاً اعتراضياً؛ لأن المعركة في الميدان والسياسة تدور على مصير الضفة الغربية وقطاع غزة، ويجب خوض المعركة السياسية حتى النهاية وبالجدارة نفسها التي خاضت فيها المقاومة المعركة العسكرية، بشرط ألا يمسّ التحرك السياسي ولا يتناقض مع الحقوق الأساسية، بل يبقى خطوة في منتهى الأهمية، ورافعة لا غنى عنها على طريق الصراع الطويل الذي يشكّل طوفان الأقصى مجرد جولة فيه؛ جولة فارقة نعم، ولكن ستتبعها جولات.

إذا ما تمّ التوصل إلى موقف موحَّد، وقيادة فلسطينية واحدة، فستكون هي القاطرة القادرة على حشد عربي وعالمي، قادر مع استخدام مختلف أشكال النضال على إنهاء الاحتلال وإنجاز الحرية والعودة والاستقلال، بوصفه مرحلة على طريق تحرير كل فلسطين على أساس هزيمة وتفكيك المشروع الاستعماري الاستيطاني العنصري.

خلاصة

مثّلت الفترة 2022–2023 إحدى أبرز مراحل العمل العسكري المقاوم منذ إنشاء الكيان الصهيوني سنة 1948. إذ قفز العمل المقاوم في الضفة الغربية قفزات نوعية كبيرة لم تشهد مثيلاً منذ نحو عشرين عاماً (انتفاضة الأقصى)، وتشكلت لأول مرة معاقل للمقاومة في جنين ونابلس وطولكرم، وتضاعفت العمليات النوعية كما تضاعفت خسائر الاحتلال الإسرائيلي.

وشهد قطاع غزة مواجهات ساخنة في معركتي "وحدة الساحات"، و"ثأر الأحرار"؛ غير أن معركة طوفان الأقصى جاءت لتكون أبرز عمل عسكري مقاوم في داخل الأرض المحتلة على مدى 75 عاماً، فهزّت أركان الكيان الإسرائيلي وأسقطت نظريته الأمنية وأفقدته فكرة الملاذ الآمن لليهود، وضربت الدور الوظيفي للاحتلال كقلعة متقدمة للمشروع الغربي وشرطي المنطقة.

وبالرغم من العدوان الوحشي الشرس الذي شنّه الاحتلال الإسرائيلي ضد قطاع غزة، ووقوع عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى، ودمار معظم البنى التحتية للقطاع؛ إلا أن حماس وقوى المقاومة قدّمت أداء عسكرياً أسطورياً، وألحقت بالاحتلال خسائر ضخمة غير مسبوقة، ومنعته من تحقيق أيٍّ من أهدافه، وقدّمت مدرسة جديدة في فنون العمل العسكري وحرب العصابات وحرب المدن. غير أن أبرز ما ميَّز هذه المقاومة كان الحاضنة الشعبية التي التفّت حولها ودعمتها، وأفشلت كافة خطط الاحتلال في الضغط على المدنيين لعزل المقاومة عن حاضنتها. ولا شك أن انكشاف الوجه البشع للاحتلال أدى لضرب مسارات التطبيع في المنطقة العربية، كما أدى لعزل الكيان الصهيوني في البيئة الدولية وتحويله إلى كيان منبوذ.

أثبتت تجربة الفترة 2022–2023 جدوى مشروع المقاومة، واتساع تأييده في الشعب الفلسطيني داخل فلسطين وخارجها، وحشرت سلطة رام الله في زاوية الكيان الواقع تحت الغضب الشعبي والذي لم تعد تثق به أغلبية الشعب الفلسطيني، ولا تحصل قيادته إلا على نسبٍ ضئيلة مقابل المقاومة في استطلاعات الرأي.

وفي هذه الأجواء تكرس فشل مسار التسوية، وسقوط تجربة أوسلو، وتجاوز الكيان الإسرائيلي لها وإسقاطه حل الدولتين، ومحاولة فرض رؤيته الصهيونية في إغلاق الملف الفلسطيني، كما تجاوز الشعب الفلسطيني هذا المسار. وبالرغم من تعالي أصوات قادة غربيين وغيرهم لتفعيل حلّ الدولتين، إلا أن أولئك الذين يمسكون بمفاتيح النفوذ والضغط وخصوصاً الأمريكان، ليسوا جادين (وليس من المتوقع ضمن الظروف المتاحة) في دعم قيام دولة فلسطينية كاملة السيادة في الضفة الغربية وقطاع غزة بما فيها شرقي القدس ودعم حق العودة؛ وهي حقوق مُقرَّة عالمياً منذ زمن طويل. ولذلك سيظل خيار المقاومة هو الخيار الذي يكاد يجمع عليه الشعب الفلسطيني.

هوامش

[1] للمزيد يمكن مراجعة التقارير الشهرية والسنوية لجهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) باللغة العربية، انظر: https://www.shabak.gov.il/ar/reports/؛
وباللغة الإنكليزية، انظر: https://www.shabak.gov.il/en/reports/؛
وباللغة العبرية، انظر: https://www.shabak.gov.il/reports/

[2] Israel-Hamas Conflict 2023: Humanitarian Efforts, site of Ministry of Foreign Affairs of Israel, 16/12/2023, https://www.gov.il/en/pages/israel-hamas-conflict-2023-humanitarian-efforts

[3] التقارير الشهرية والسنوية لجهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك.

[4] المرجع نفسه.

[5] "التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2022،" مُعطى، 2023/1/3، انظر: https://mo3ta.ps/?p=3932

[6] "التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2023،" مُعطى، 2024/1/2، انظر: https://mo3ta.ps/?p=8714

[7] للمزيد انظر: "التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2022،" مُعطى، 2023/1/3؛ و"التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2023،" مُعطى، 2024/1/2.

[8] المراجع نفسها. للمزيد انظر التقارير الدورية لمركز مُعطى، في: https://mo3ta.ps/?page_id=826

[9] تايمز أوف إسرائيل، 2023/1/12.

[10] وكالة وفا، 2022/2/9، انظر: https://www.wafa.ps/Pages/Details/41150

[11] وكالة وفا، 2023/1/26، انظر: https://www.wafa.ps/Pages/Details/63659؛ ووكالة وفا، 2023/7/3، انظر: https://www.wafa.ps/Pages/Details/74132

[12] وكالة وفا، 2023/10/18، انظر: https://www.wafa.ps/Pages/Details/82112

[13] التنسيق الأمني بين الاحتلال والسلطة الفلسطينية.. ماذا يعني وهل يستمر؟ الجزيرة.نت، 2023/12/26.

[14] المرجع نفسه.

[15] الجزيرة.نت، 2022/9/19؛ و**الشرق الأوسط**، 2022/10/27.

[16] الجزيرة.نت، 2022/12/29. للمزيد انظر: رأي اليوم، 2022/4/14؛ وصفحة حسين الشيخ (@HusseinSheikhpl)، إكس X/ تويتر، 2022/7/8؛ ووكالة الأناضول، 2022/12/28. وانظر أيضاً:
Benny Gantz (@gantzbe), site of X (Twitter), 8/7/2022, https://twitter.com/gantzbe/status/1545161476238938118

[17] انظر: التنسيق الأمني بين الاحتلال والسلطة الفلسطينية.. ماذا يعني وهل يستمر؟ الجزيرة.نت، 2023/12/26.

[18] رأي اليوم، 2022/9/13.

[19] عرب 48، 2023/2/19.

[20] **الشرق الأوسط**، 2023/2/27.

[21] التنسيق الأمني بين الاحتلال والسلطة الفلسطينية.. ماذا يعني وهل يستمر؟ الجزيرة.نت، 2023/12/26. وانظر أيضاً:
Reem Cohen, "A Functional Palestinian Authority: An Essential Israeli Interest," site of The Institute for National Security Studies (INSS), Insight No. 1796, 11/12/2023, https://www.inss.org.il/publication/functioning-pa/

[22] Secretary Antony J. Blinken Remarks to the Press, Remarks to the Press, The Secretary of State, Baghdad, Iraq, site of U.S. Department of State, 5/11/2023, https://www.state.gov/secretary-antony-j-blinken-remarks-to-the-press-16/

[23] آلاء العملة، "مجموعات المقاومة في الضفة الغربية... تفاصيل النشأة والتطور،" المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات، 2023/9/19.

[24] كتيبة جنين.. نشأت للدفاع عن أسرى هاربين وأصبحت درع مخيم جنين، الجزيرة.نت، 2023/12/22، في: https://aja.ws/15er94

[25] للمزيد انظر: قدس برس، 2023/6/8؛ والجزيرة.نت، 2023/7/2، في: https://aja.me/nfte9n؛ والجزيرة.نت، 2023/8/21، في: https://aja.me/8gqupe

[26] محمُود الرنتيسي، "تطور المقاومة في الضفة الغربية،" الجزيرة.نت، 2023/8/22، في: https://aja.me/jc8nxe

[27] **العربي الجديد**، 2023/7/4؛ وقدس برس، 2023/7/5، في: https://qudspress.com/61864/؛ وفلسطين أون لاين، 2023/8/18.

[28] كتيبة جنين وعرين الأسود.. لقاءات حصرية وتفاصيل وأسرار عن المقاومة المتصاعدة في الضفة الغربية، الجزيرة.نت، 2023/1/8، انظر: https://aja.me/22ojca

[29] كتيبة جنين.. نشأت للدفاع عن أسرى هاربين وأصبحت درع مخيم جنين، الجزيرة.نت، 2023/12/22.

[30] المرجع نفسه.

[31] للمزيد انظر: قدس برس، 2022/11/27، في: https://qudspress.com/9342؛ وقدس برس، 2023/5/2، في: https://qudspress.com/44485؛ و**القدس العربي**، 2023/7/18؛ والجزيرة.نت، 2023/7/18، في: https://aja.me/ned545

[32] **القدس**، 2023/7/17؛ و**الشرق الأوسط**، 2023/7/19.

[33] كتيبة جنين.. نشأت للدفاع عن أسرى هاربين وأصبحت درع مخيم جنين، الجزيرة.نت، 2023/12/22.

[34] كتيبة جنين وعرين الأسود.. لقاءات حصرية وتفاصيل وأسرار عن المقاومة المتصاعدة في الضفة الغربية، الجزيرة.نت، 2023/1/8.

[35] آلاء العملة، "مجموعات المقاومة في الضفة الغربية... تفاصيل النشأة والتطور،" مسارات، 2023/9/19.

[36] صفحة وكالة شهاب للأنباء (@ShehabAgency)، إكس X/ تويتر، 2022/10/26، في: https://twitter.com/ShehabAgency/status/1585294483071160320

[37] **الشرق الأوسط**، 2023/4/29؛ و**القدس العربي**، 2023/5/3.

[38] موقع قناة الميادين، 2023/10/9.

[39] موقع قناة الميادين، 2023/11/9.

[40] الجزيرة.نت، 2024/4/25، في: https://aja.ws/p3xgdo

[41] الجزيرة.نت، 2023/12/17، في: https://aja.ws/ijo90v

[42] الجزيرة.نت، 2023/8/30، في: https://aja.me/kkz8x1

[43] الجزيرة.نت، 2023/7/18.

[44] للمزيد انظر: قدس برس، 2023/3/6، في: https://qudspress.com/30392؛ وقدس برس، 2023/10/6، في: https://qudspress.com/82119

[45] **الشرق الأوسط**، 2022/8/3.

[46] **الشرق الأوسط**، 2022/8/6. وانظر أيضاً:
Haaretz newspaper, 5/8/2022, https://www.*haaretz*.com

[47] موقع قناة الميادين، 2022/8/5؛ والجزيرة.نت، 2022/8/6.

[48] عربي 21، 2022/8/5.

[49] **الشرق الأوسط**، 2022/8/7؛ والجزيرة.نت، 2022/8/8.

[50] موقع ديوان رئيس الوزراء الإسرائيلي، 2022/8/8. وانظر أيضاً:
Site of The Times of Israel, 7/8/2022, https://www.timesofisrael.com/with-gaza-ceasefire-imminent-lapid-tells-mayors-israel-has-achieved-its-goals

[51] Ceasefire Between Israel, Palestinian Militants 'Fragile', Middle East Coordinator Tells Security Council, Urging All Parties to Uphold Truce, Safeguard Past Gains, site of United Nations (UN), Security Council, 9107TH Meeting (PM), SC/14994, 8/8/2022, https://press.un.org/en/2022/sc14994.doc.htm

[52] التقرير الشهري آب/ أغسطس 2022، الشاباك، في: https://www.shabak.gov.il/media/3n1cpbvt/082022.pdf

[53] فلسطين أون لاين، 2022/8/8. وانظر أيضاً:
Ceasefire Between Israel, Palestinian Militants 'Fragile', Middle East Coordinator Tells Security Council, Urging All Parties to Uphold Truce, Safeguard Past Gains, UN, Security Council, 9107TH Meeting (PM), SC/14994, 8/8/2022.

[54] الجزيرة.نت، 2022/8/8.

[55] Ceasefire Between Israel, Palestinian Militants 'Fragile', Middle East Coordinator Tells Security Council, Urging All Parties to Uphold Truce, Safeguard Past Gains, UN, Security Council, 9107TH Meeting (PM), SC/14994, 8/8/2022.

[56] فلسطين أون لاين، 2022/8/8.

[57] الجزيرة.نت، 2023/5/9.

[58] التقرير الشهري أيار/ مايو 2023، الشاباك، في: https://www.shabak.gov.il/media/x2hnr0fx/%D7%A2%D7%A8%D7%91%D7%99%D7%AA-%D7%9E%D7%90%D7%99.pdf

[59] **الشرق الأوسط**، 2023/5/14؛ وقدس برس، 2023/5/14، في: https://qudspress.com/48677

[60] **الأيام**، رام الله، 2023/5/15.

[61] فلسطين أون لاين، 2023/5/14.

[62] المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/10/7، في: https://palinfo.com/?p=852723؛ ووكالة صفا، 2023/10/7، في: https://safa.ps/p/363487

[63] محسن محمد صالح، طوفان الأقصى.. التعامل مع اليوم التالي للعملية، عربي 21، 2023/10/13.

[64] Maayan Jaffe-Hoffman, Netanyahu: Israel fighting second War of Independence, *The Jerusalem Post* newspaper, 27/10/2023, https://www.jpost.com/breaking-news/article-770514

[65] Netanyahu: 'We are in an existential war, Israel has to win,' The Times of Israel, 7/3/2024, https://www.timesofisrael.com/liveblog_entry/netanyahu-we-are-in-an-existential-war-israel-has-to-win/

[66] Emanuel Fabian, Gallant: If Hamas isn't totally dismantled, we won't be able to live in Israel, The Times of Israel, 17/1/2024, https://www.timesofisrael.com/liveblog_entry/gallant-if-hamas-isnt-totally-dismantled-we-wont-be-able-to-live-in-israel/

[67] محسن محمد صالح، طوفان الأقصى.. التعامل مع اليوم التالي للعملية، عربي 21، 2023/10/13.

[68] سعيد الحاج، حقائق حول الاحتلال تبشّر بزواله، الجزيرة.نت، 2024/1/1. وانظر:
Paul Blumenthal, Israeli President Suggests That Civilians In Gaza Are Legitimate Targets, site of Huffpost, 13/10/2023, https://www.huffpost.com/entry/israel-gaza-isaac-herzog_n_65295ee8e4b03ea0c004e2a8; and Emanuel Fabian, Defense minister announces 'complete siege' of Gaza: No power, food or fuel, The Times of Israel, 9/10/2023, https://www.timesofisrael.com/liveblog_entry/defense-minister-announces-complete-siege-of-gaza-no-power-food-or-fuel/

[69] المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/10/7، في: https://palinfo.com/?p=852723؛ ووكالة صفا، 2023/10/7، في: https://safa.ps/p/363487

[70] فلسطين أون لاين، 2023/10/7.

[71] الجزيرة.نت، 2023/10/7.

[72] فلسطين أون لاين، 2023/10/7؛ وانظر:
Emanuel Fabian, Gallant declares emergency situation in south, center; gatherings restricted, The Times of Israel, 7/10/2023, https://www.timesofisrael.com/liveblog_entry/gallant-declares-emergency-situation-in-south-center-gatherings-restricted/; Amos Harel, Analysis, Israel-Gaza War: A Catastrophic Failure That Will Send Political Shockwaves, *Haaretz*, 8/10/2023, https://www.haaretz.com/israel-news/2023-10-08/ty-article/.premium/a-failure-of-all-systems-with-political-shock-waves-like-73/0000018b-0c06-dae3-a1cb-bd0f3be90000; and Dan Williams, How the Hamas attack on Israel unfolded, Reuters News Agency, 7/10/2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/how-hamas-attack-israel-unfolded-2023-10-07/

[73] **الشرق الأوسط**، 2023/10/7.

[74] قدس برس، 2023/10/8، في: https://qudspress.com/82969

[75] المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/10/9، في: https://palinfo.com/?p=853173؛ وموقع كتائب الشهيد عز الدين القسام، 2023/10/8، في: https://www.alqassam.ps/arabic/news/details/19625

[76] **القدس**، 2023/10/9.

[77] الجزيرة.نت، 2023/10/12.

[78] الجزيرة.نت، 2023/10/16.

[79] وكالة الرأي الفلسطينية للإعلام، 2023/10/8، في: https://alray.ps/ar/post/282783

[80] **القدس العربي**، 2023/10/8.

[81] تايمز أوف إسرائيل، 2023/11/11.

[82] المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/10/7، في: https://palinfo.com/?p=852723؛ ووكالة صفا، 2023/10/7، في: https://safa.ps/p/363487

[83] فلسطين أون لاين، 2023/10/7.

[84] قدس برس، 2023/10/7، في: https://qudspress.com/82193

[85] الجزيرة.نت، 2023/10/12.

[86] عرب 48، 2023/10/8.

[87] **الشرق الأوسط**، و**القدس العربي**، 2023/10/7. وانظر أيضاً:
Israel Defense Forces (@IDF), X (Twitter), 7/10/2023, https://x.com/IDF/status/1710580568302223374

[88] Jeremy Sharon, Carrie Keller-Lynn and Amy Spiro, After days of indecision, Netanyahu, Gantz agree to establish emergency war government, The Times of Israel, 11/10/2023.

[89] وكالة سما، 2023/10/12.

[90] موقع ديوان رئيس الوزراء الإسرائيلي، 2023/10/7، في:
https://www.gov.il/ar/departments/news/event-statement071023

[91] **الشرق الأوسط**، 2023/10/10. وانظر أيضاً:
Site of Israeli Prime Minister's Office, 10/10/2023,
https://www.gov.il/en/Departments/news/spoke-biden101023

[92] وكالة الأناضول، 2023/10/11.

[93] **القدس العربي**، 2023/10/13.

[94] الجزيرة.نت، 2023/10/10.

[95] وكالة الأناضول، 2023/10/10.

[96] فرانس 24، 2023/10/10، انظر: https://www.france24.com/ar؛ وبي بي سي، 2023/10/10، في: https://www.bbc.com/arabic/articles/c518kr2yrxpo

[97] **الشرق الأوسط**، 2023/10/7.

[98] **الشرق الأوسط**، 2023/10/13.

[99] الجزيرة.نت، 2023/10/10.

[100] المرجع نفسه.

[101] **الشرق الأوسط**، 2023/10/8. وانظر أيضاً:
Readout of President Biden's Call with Prime Minister Netanyahu of Israel, site of The White House, 8/10/2023,https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2023/10/08/readout-of-president-bidens-call-with-prime-minister-netanyahu-of-israel/

[102] الجزيرة.نت، 2023/10/10. وانظر أيضاً:
Remarks by President Biden on the Terrorist Attacks in Israel, The White House, 10/10/2023, https://www.whitehouse.gov/briefing-room/speeches-remarks/2023/10/10/remarks-by-president-biden-on-the-terrorist-attacks-in-israel-2/

[103] الجزيرة.نت، 2023/10/10.

[104] الجزيرة.نت، 2023/10/31.

[105] الجزيرة.نت، 2023/11/2.

[106] **العربي الجديد**، 2023/10/28.

[107] الجزيرة.نت، 2023/12/3.

[108] الجزيرة.نت، 2023/12/31؛ والجزيرة.نت، 2024/1/1.

[109] نحو 30 ألف قتيل فلسطيني خلال 82 يوماً من جريمة الإبادة الجماعية الإسرائيلية في غزة، موقع المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، 2023/12/27، انظر: https://euromedmonitor.org/ar

[110] الجزيرة.نت، 2023/11/26.

[111] **اليوم السابع**، 2024/1/2.

[112] المرجع نفسه.

[113] انظر: عدوان الاحتلال الاسرائيلي على فلسطين منذ 2023/10/7، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، في: https://www.pcbs.gov.ps (اطلع عليه في 2024/3/9)

[114] الجزيرة.نت، 2024/1/22، في: https://aja.ws/lz7og0

[115] انظر: عدوان الاحتلال الاسرائيلي على فلسطين منذ 2023/10/7، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (اطلع عليه في 2024/3/9)

[116] الجزيرة.نت، 2023/12/31.

[117] للمزيد انظر: د. علا عوض، رئيسة الإحصاء الفلسطيني، تستعرض أوضاع الفلسطينيين في نهاية عام 2023، عشية رأس السنة الجديدة 2024، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2023/12/31، في:
https://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?tabID=512&lang=ar&ItemID=4675&mid=3915&wversion=Staging

[118] الجزيرة.نت، 2023/12/31.

[119] الجزيرة.نت، 2023/10/12.

[120] الجزيرة.نت، 2024/1/5. وانظر أيضاً:
Site of Ynet News, 4/1/2024, https://www.ynetnews.com/article/hjcvwindp

[121] *The New York Times* newspaper, 30/12/2023, https://www.nytimes.com/2023/12/30/world/middleeast/israeli-military-hamas-failures.html

[122] للمزيد انظر: "التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2023،" مُعطى، 2024/1/2؛ وموقع الجيش الإسرائيلي، انظر: https://www.idf.il (باللغة العبرية)؛ وانظر:
The Times of Israel, 8/10/2023, https://www.timesofisrael.com/authorities-name-44-soldiers-30-police-officers-killed-in-hamas-attack (Accessed on 3/1/2024)

[123] وكالة الأناضول، 2023/10/23.

[124] *The New York Times*, 27/12/2023, https://www.nytimes.com/2023/12/27/world/middleeast/israel-hamas-gaza-rockets.html

[125] الجزيرة.نت، 2023/12/26.

[126] الجزيرة.نت، 28/12/2023؛ وموقع الجيش الإسرائيلي باللغة العبرية. وانظر أيضاً:
The Times of Israel, 3/1/2024.

[127] الجزيرة.نت، 2024/1/1.

[128] الجزيرة.نت، 2023/11/19.

[129] "التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2023،" مُعطى، 2024/1/2.

[130] الجزيرة.نت، 2023/12/11. وانظر أيضاً:

Ido Efrati and Yaniv Kubovich, IDF Reports 1,593 Wounded Since October 7, but Hospital Data Is Much Higher, *Haaretz*, 10/12/2023, https://www.haaretz.com/israel-news/2023-12-10/ty-article/.premium/idf-reports-1-593-wounded-since-october-7-but-hospital-data-is-much-higher/0000018c-552d-df4b-a78e-d52f47ac0000

[131] الجزيرة.نت، 2024/1/1. وانظر أيضاً:

Haaretz, 31/12/2023, https://www.*haaretz*.com/israel-news/2023-12-31/ty-article/.premium/as-mental-health-system-in-israel-collapses-psychiatrists-are-leaving-for-britain/0000018c-c026-d3e0-abac-d8af89aa0000

[132] وكالة معا، 2024/1/3. وانظر أيضاً:

Ido Efrat, 1,600 Israeli Soldiers Suffer From PTSD Since Start of War; 90 Discharged From Service, *Haaretz*, 3/1/2024, https://www.haaretz.com/israel-news/2024-01-03/ty-article/.premium/1-600-israeli-soldiers-suffer-from-ptsd-since-start-of-war-90-discharged-from-service/0000018c-cfb7-d4e1-ad8f-ffb7ac230002

[133] أحمد أبو الهيجاء، الضفة الغربية وصراع المسارات.. لماذا تغيب عن مشهد "طوفان الأقصى"؟، الجزيرة.نت، 2023/11/14.

[134] انظر: عدوان الاحتلال الاسرائيلي على فلسطين منذ 2023/10/7، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (اطلع عليه في 2023/12/31)

[135] "التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2023،" مُعطى، 2024/1/2.

[136] أحمد أبو الهيجاء، الضفة الغربية وصراع المسارات.. لماذا تغيب عن مشهد "طوفان الأقصى"؟، الجزيرة.نت، 2023/11/14.

[137] **الأخبار**، 2023/10/9، في: https://al-akhbar.com/Politics/370817

[138] الجزيرة.نت، 2023/10/25.

[139] **الشرق الأوسط**، 2023/11/3.

[140] وكالة الأناضول، 2024/1/4؛ وانظر: شهداء على طريق القدس، موقع قناة المنار، 2024/1/4، في: https://www.almanar.com.lb/qods-martyrs

[141] للمزيد انظر موقع الجيش الإسرائيلي باللغة العبرية. وانظر أيضاً:

The Times of Israel، 3/1/2024.

[142] موقع قناة المنار، 2024/1/5، في: https://www.almanar.com.lb/11488160

[143] للمزيد انظر: المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/10/18، في: https://palinfo.com/?p=855481؛ والوكالة الوطنية للإعلام، 2023/10/29.

[144] **الأخبار**، 2023/10/27.

[145] الجزيرة.نت، 2023/10/12.

[146] الوكالة الوطنية للإعلام، 2023/10/10؛ وقدس برس، 2023/10/19، في: https://qudspress.com/87482؛ وقدس برس، 2023/10/29، في: https://qudspress.com/90578؛ والوكالة الوطنية للإعلام، 2023/11/2؛ والوكالة الوطنية للإعلام، 2023/11/6؛ ووكالة الأناضول، 2023/12/19.

[147] المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/10/14، في: https://palinfo.com/?p=854466

[148] الوكالة الوطنية للإعلام، 2023/11/22.

[149] الجزيرة.نت، 2024/1/2.

[150] الوكالة الوطنية للإعلام، 2023/10/10.

[151] موقع النشرة، 2023/10/21، انظر: https://www.elnashra.com/

[152] الجزيرة.نت، 2023/10/30.

[153] الوكالة الوطنية للإعلام، 2023/12/29.

[154] **العربي الجديد**، 2023/11/1؛ وعربي 21، 2023/11/1.

[155] موقع قناة العالم، 2023/10/10، انظر: https://www.alalam.ir/

[156] عربي 21، 2023/10/22.

[157] للمزيد انظر: **العربي الجديد**، 2023/11/6؛ و**القدس العربي**، 2023/11/9.

[158] موقع قناة المنار، 2023/12/5، في: https://www.almanar.com.lb/11339957

[159] الجزيرة.نت، 2023/11/19.

[160] الجزيرة.نت، 2024/1/5. وانظر أيضاً:

Erin Banco, Lara Seligman and Alexander Ward, The war in Gaza may widen. The Biden admin is getting ready for it, site of POLITICO, 4/1/2024, https://www.politico.com/news/2024/01/04/war-gaza-widen-biden-getting-ready-00133949

[161] الجزيرة.نت، 2024/1/5؛ وانظر:

Statement from Secretary of Defense Lloyd J. Austin III on Ensuring Freedom of Navigation in the Red Sea, U.S. Department of State, 18/12/2023, https://www.defense.gov/News/Releases/Release/Article/3621110/statement-from-secretary-of-defense-lloyd-j-austin-iii-on-ensuring-freedom-of-n/#:~:text=Therefore%2C%20today%20I%20am%20announcing,security%20in%20the%20Red%20Sea

[162] مؤسسة الإذاعة والتلفزيون التركية (TRT)، 2023/12/31.

[163] للمزيد انظر: المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/11/3، في: https://palinfo.com/?p=859299؛ والمركز الفلسطيني للإعلام، 2023/12/28، في: https://palinfo.com/?p=869485

[164] موقع قناة روسيا اليوم، 2024/1/7.

[165] Michael Knights, Amir al-Kaabi and Hamdi Malik, Tracking Anti-U.S. Strikes in Iraq and Syria During the Gaza Crisis, site of Washington Institute for Near East Policy, 16/5/2024, https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/tracking-anti-us-strikes-iraq-and-syria-during-gaza-crisis

[166] **الشرق الأوسط**، 2021/12/8. وانظر أيضاً:

The Times of Israel, 7/12/2021.

[167] مؤسسة الإذاعة والتلفزيون التركية (TRT)، 2023/10/21.

[168] الجزيرة.نت، 2023/12/21.

[169] الجزيرة.نت، 2023/12/25؛ وصحيفة **يديعوت أحرونوت**، 2023/12/25، في:
https://www.ynet.co.il/news/article/yokra13729290 (باللغة العبرية)

[170] المراجع نفسها.

[171] المراجع نفسها.

[172] التقرير السنوي 2022: اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي خلال العام 2022، صفحة الإدارة العامة للطوارئ – وزارة الصحة الفلسطينية، فيسبوك، 2023/2/2، في:
https://www.facebook.com/photo?fbid=548011950759105&set=a.274345968125706

[173] انظر: عدوان الاحتلال الاسرائيلي على فلسطين منذ 2023/10/7، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (اطلع عليه في 2023/12/31)

[174] التقرير السنوي 2022: اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي خلال العام 2022، صفحة الإدارة العامة للطوارئ – وزارة الصحة الفلسطينية، فيسبوك، 2023/2/2.

[175] انظر: عدوان الاحتلال الاسرائيلي على فلسطين منذ 2023/10/7، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (اطلع عليه في 2023/12/31)

[176] للمزيد يمكن مراجعة التقارير الشهرية والسنوية لجهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك).

[177] للمزيد انظر: "التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2023،" مُعطى، 2024/1/2؛ وموقع الجيش الإسرائيلي باللغة العبرية. وانظر أيضاً:
The Times of Israel, 3/1/2024.

[178] للمزيد يمكن مراجعة التقارير الشهرية والسنوية لجهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك).

[179] للمزيد انظر: "التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2023،" مُعطى، 2024/1/2؛ وموقع الجيش الإسرائيلي باللغة العبرية. وانظر أيضاً:
The Times of Israel, 3/1/2024.

[180] بالنسبة للشهداء والجرحى الفلسطينيين وللقتلى والجرحى الإسرائيليين للسنوات 2019–2021، انظر: محسن محمد صالح، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2018–2019**، ص 206؛ ومحسن محمد صالح، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2020–2021** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2022)، ص 205.
وبالنسبة للقتلى والجرحى الإسرائيليين لسنتي 2022 و2023، انظر: التقارير الشهرية والسنوية لجهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك)؛ و"التقرير السنوي لأعمال المقاومة في الضفة الغربية لعام 2023،" مُعطى، 2024/1/2؛ وموقع الجيش الإسرائيلي باللغة العبرية.
أما بالنسبة للشهداء والجرحى الفلسطينيين لسنتي 2022 و2023، انظر: التقرير السنوي 2022: اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي خلال العام 2022، صفحة الإدارة العامة للطوارئ – وزارة الصحة الفلسطينية، فيسبوك، 2023/2/2؛ وعدوان الاحتلال الاسرائيلي على فلسطين منذ 2023/10/7، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.
(اطلع عليه في 2023/12/31)

[181] خلال 2023: نحو 11 ألف فلسطيني/ ة تعرضوا للاعتقال على يد قوات الاحتلال الإسرائيليّ نصفهم بعد السابع من أكتوبر، موقع مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2024/1/3، انظر:
https://www.addameer.org/ar/news/5257

[182] انظر: عدوان الاحتلال الاسرائيلي على فلسطين منذ 2023/10/7، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، في:
https://www.pcbs.gov.ps (اطلع عليه في 2023/12/31)

[183] تقرير حصاد عام 2022 صادر عن مؤسسات الأسرى خلال عام 2022: الاحتلال اعتقل 7000 فلسطيني، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2023/1/1، انظر: https://www.addameer.org/ar/media/4966

[184] غزة: عشرات الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين لدى الجيش الإسرائيلي ضحايا عمليات إعدام وقتل ممنهجة وسط تعتيم شديد، المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، 2024/3/9، في: http://euromedmonitor.org/a/6214

[185] اليوم 140، الإبادة الإسرائيلية في قطاع غزة، 7 أكتوبر – 23 فبراير 2024، المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، 2024/2/23، في: https://euromedmonitor.org/uploads/IMG_8906.png

[186] تقرير حصاد عام 2022 صادر عن مؤسسات الأسرى خلال عام 2022: الاحتلال اعتقل 7000 فلسطيني، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2023/1/1؛ وخلال 2023: نحو 11 ألف فلسطيني/ ة تعرضوا للاعتقال على يد قوات الاحتلال الإسرائيليّ نصفهم بعد السابع من أكتوبر، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2024/1/3.

[187] المراجع نفسها.

[188] المراجع نفسها.

[189] خلال 2023: نحو 11 ألف فلسطيني/ ة تعرضوا للاعتقال على يد قوات الاحتلال الإسرائيليّ نصفهم بعد السابع من أكتوبر، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2024/1/3.

[190] انظر تقارير مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، في: إحصائيات الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، في: http://www.addameer.org/ar/statistics؛ وبخصوص سنة 2023 تمّ اعتماد الأرقام التي تمّ نُشرت في 2024/2/5.

[191] المرجع نفسه.

[192] المرجع نفسه.

[193] تقرير حصاد عام 2022 صادر عن مؤسسات الأسرى خلال عام 2022: الاحتلال اعتقل 7000 فلسطيني، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2023/1/1؛ وخلال 2023: نحو 11 ألف فلسطيني/ ة تعرضوا للاعتقال على يد قوات الاحتلال الإسرائيليّ نصفهم بعد السابع من أكتوبر، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2024/1/3.

[194] للمزيد انظر: "التقرير السنوي 2022،" موقع المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، 2022/6/26؛ ويمكن مراجعة التقارير الشهرية لحالة المعابر في قطاع غزة في: المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، انظر:
https://pchrgaza.org/ar/category/%d8%a7%d8%b5%d8%af%d8%a7%d8%b1%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d8%ae%d8%b1%d9%89/page/2

[195] المراجع نفسها.

[196] المراجع نفسها. (1 ميل بحري = 1.852 كم)

[197] وكالة الأناضول، 2023/10/10.

[198] فرانس24، 2023/10/10؛ وبي بي سي، 2023/10/10.

[199] تقرير حول العدوان الشامل الذي تواصل قوات الاحتلال الحربي الإسرائيلي تنفيذه على قطاع غزة منذ 7–28 أكتوبر 2023، موقع مركز الميزان لحقوق الإنسان، 2023/11/13، في: https://www.mezan.org/fr/post/46305

[200] للمزيد انظر: "التقرير السنوي 2022،" موقع المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، 2022/6/26؛ ويمكن مراجعة التقارير الشهرية لحالة المعابر في قطاع غزة في: المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، انظر:
https://pchrgaza.org/ar/category/%d8%a7%d8%b5%d8%af%d8%a7%d8%b1%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d8%ae%d8%b1%d9%89/page/2

[201] **القدس العربي**، 2022/12/24.

[202] بايدن يؤكد أن الحرب الحالية تعزز الحاجة إلى حلّ الدولتين، فرانس24، 2023/10/18.

[203] دعوات لحل الدولتين بمنتدى برشلونة وبوريل: حماس فكرة لا يمكن قتلها، الجزيرة.نت، 2023/11/27.

[204] خطابات الرئيس محمود عباس "أبو مازن" 2022، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني – وفا، انظر:
https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=CMuZd7a28052919675aCMuZd7

[205] المرجع نفسه.

[206] المرجع نفسه.

[207] شي يقدم اقتراحاً لتسوية القضية الفلسطينية ويدعو إلى عضوية كاملة لفلسطين في الأمم المتحدة، وكالة سما، 2023/6/14، انظر: samanews.ps/ar/post/558238

[208] الإعلان عن مبادرة لـ"تنشيط عملية السلام في الشرق الأوسط" بجهود عربية وأوروبية، CNN بالعربية، 2023/9/19، انظر: https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2023/09/19/european-union-saudi-arabia-arab-league-in-cooperation-with-egypt-and-jordan-launched-peace-day

[209] المرجع نفسه.

[210] خطابات الرئيس محمود عباس "أبو مازن" 2023، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني – وفا، انظر:
https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=xSDTina28183309836axSDTin

[211] المرجع نفسه.

[212] أهم ما جاء في البيان الختامي لاجتماع شرم الشيخ الخماسي بشأن فلسطين، **العربي الجديد**، 2023/3/19.

[213] المرجع نفسه.

[214] المرجع نفسه.

[215] جوزيب بوريل: حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني يجب فرضه من الخارج، موقع المرصد، 2024/1/3، انظر: https://almarsad.co/؛ وانظر أيضاً: الاتحاد الأوروبي يدعو إلى ضرورة التوقف عن قتل المدنيين في غزة وتنفيذ حل الدولتين، يورونيوز، 2024/1/13، في: https://arabic.euronews.com/2024/01/13/high-repre`sentative-european-union-foreign-affairs-security-policy-josep-borrell-war-gaza

[216] هنية: حماس قدمت تصوراً شاملاً لوقف العدوان ونتنياهو سبب الحرب، الجزيرة.نت، 2023/11/1.

The Palestine Strategic Report 2022-2023

التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023

هذا التقرير

يسر مركز الزيتونة أن يقدم للقارئ الكريم التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنتي 2022-2023 الذي يصدر للمرة الثالثة عشر على التوالي. وهو تقرير يستعرض بشكل علمي وموضوعي وشامل تطورات القضية الفلسطينية، في مختلف جوانبها، ويحاول تقديم آخر المعلومات والإحصاءات المحدّثة الدقيقة حتى نهاية سنة 2023؛ في إطار قراءة تحليلية واستشراف مستقبلي.

شارك في إعداد هذا التقرير اثنا عشر أستاذاً وباحثاً متخصصاً، وهو يعالج في ثمانية فصول الوضع الفلسطيني الداخلي، والمؤشرات السكانية والاقتصادية الفلسطينية، ويسلط الضوء على أوضاع القدس والمقدسات، ومسارات العدوان والمقاومة والتسوية السلمية، ويدرس المشهد الإسرائيلي سياسياً وسكانياً واقتصادياً وعسكرياً، كما يناقش العلاقات الفلسطينية العربية والإسلامية والدولية؛ وقد طبعت معركة طوفان الأقصى هذا التقرير بطابعها الخاص.

لقد أخذ هذا التقرير موقعه المتميز كمرجع أساسي من مراجع الدراسات الفلسطينية، لا غنى عنه لكل المهتمين بالشأن الفلسطيني. ويأمل مركز الزيتونة أن يكون هذا التقرير إضافة نوعية جادة في ميدان الدراسات الفلسطينية.

أ. د. محسن محمد صالح

ISBN 978-614-494-052-5

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 21 961+ | تلفاكس: 643 803 21 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net